University Center El-Wancharissi of Tissemsilt - Algeria

University Center El-Wancharissi of Tissemsilt - Algeria

الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزراة التّعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي _ تيسمسيلت_

معهد الآداب و اللّغات **قسم اللّغة العربيّة و آدابها**

مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر في اللّغة و الأدب العربي

موسومة بـــ:

دراسة كتاب:

قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة

من إعداد الطالبة:

✓ عديم الزهرة

د/شريط نورة.....	رئيسا
د/ بلميهوب هند	مشرفا و مقرّرا
د/.بن بغداد أحمد	عضوا مناقشا

السّنة الجامعيّة : 1440-1441هـ/2019-2020م

شكر و عرفان

"الاعتراف بالجميل فضيلة ونكرانه رذيلة"

"الاعتراف بالجميل لأهل الفضل واجب وأكيد"

نحمد الله عز وجل ونثني عليه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه الذي منحنا الصبر و الثبات في إنجاز هذا المشروع، و الحمد لله الذي وفقنا في إتمامه بكل صحة وعافية.

كما نقدّم أسمى آيات الشكر و الامتنان و التقدير إلى الذين مهّدو لنا طريق العلم و المعرفة، وإلى كلّ من ساعدنا من قريب أو بعيد بقدر كبير أو بسيط على إنجاز هذا البحث و نخصّ بالذكر الأستاذة المشرفة "بلميهوب هند " وإلى كلّ أساتذة قسم اللغة العربية آدابها.

وإلى كلّ من جمعتنا بهم مناهل العلم و المعرفة، إلى كلّ طلبة قسم السنة الثانية ماستر.

كما لاننسى الشكر الموصول إلى كل عّمال المكتبة الذين لم يبخلوا

علينا بزادهم نتقدم لهم بخالص شكرنا وامتناننا

إلى كلّ هؤلاء جزاهم الله كلّ خير.

إهداء

أهدي صفوة هذا العمل إلى بلسما الشفاء و منبعا الحنان الذين كانا سببا في توفيقي بعد الله سبحانه و تعالى

والدايا بارك الله فيهما و أدام نعمتهما علينا، إلى التي سهرت لأنجح و ألبستني بدعواها لباس الحب و الأمان أمي الغالية .

إلى الغالي والدي الذي كلت أنامله ليقدم لي دفء العيش و لحظة السعادة و نصب نفسه جسرا

و حما كاهلي الضعيف ليصل بي إلى قصر النجاح، حفظك الله و أدامك تاجا فوق رؤوسنا.

إلى إخوتي الذين اظهروا لي أجمل ما في الحياة و تذوقت معهم أجمل اللحظات فكانوا مورد ثقتي

و منبع أملي، و فقهم الله إلى درب الصلاح و الفلاح .

إلى كل العائلة كبيرهم وصغيرهم و بالأخص الإخوة و الأخوات

إلى أصدقائي وزملائي من حفظتهم ذاكرتي يظلوا خالدين فيها

إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في هذا العمل المتواضع

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي و لم تسعهم مذكرتي.

البطاقة الفنية:

- **الكاتب:** ياسين عايش خليل.
- **عنوان الكتاب:** قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة.
- **الطبعة:** الأولى.
- **دار النشر:** دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- **بلد النشر:** عمان – الأردن.
- **السنة:** 1432هـ- 2011م.
- **حجم الكتاب:** متوسط الحجم.
- **عدد صفحاته:** 215 صفحة.

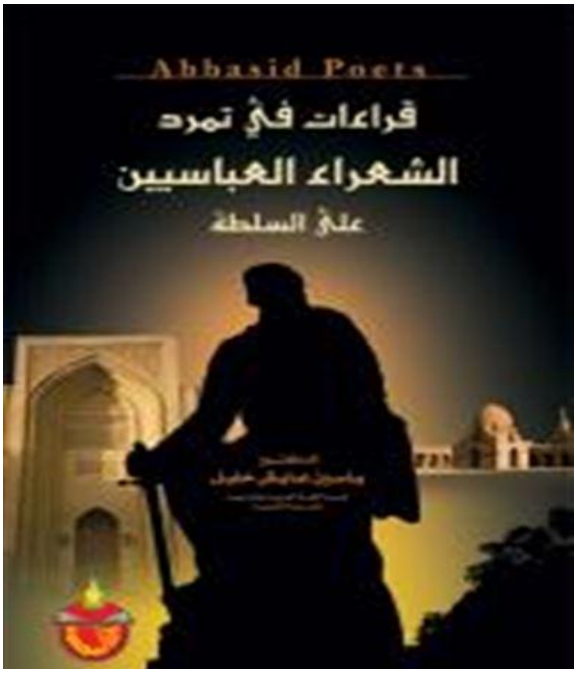

الفصول	عناصر	عدد الصفحات
الفصل الأول: بشار بن برد والسلطة	– مقدمة – بشار بن برد والسلطة. – الرغبة البشارية في الخلود بالفن محفز التمرد. – هجاء بشار ضرب آخر من التمرد وسعي إلى الخلود. – خاتمة – مراجع الفصل الأول.	29 صفحة
الفصل الثاني: الإتجاه النواسي والتمرد في الشعر العباسي.	– ظاهرة المجون في الشعر العباسي. – الدين والفن. – أبو نواس والتمرد على السلطة. – سجن أبي نواس. – اللوم واللوام في شعر أبي نواس. – التمرد على السلطة السياسية جوهر التمرد النواسي. – أبو نواس وعقيدة الإرجاء.	42 صفحة
الفصل الثالث: جدلية العلاقة بين الإبداع والسلطة في شعر الزهد.	– مقدمة. – العرض. – أبو العتاهية في السجن. – في سجن المهدي. – في سجن الرشيد. – الخاتمة. – مراجع الفصل الثالث.	43 صفحة
الفصل الرابع: الفقر والتمرد في الشعر العباسي	– المقدمة. – العرض. الخاتمة.	35 صفحة

الفصل الخامس: المتنبي وضريبة التمرد	– من الذي قتل المتنبي؟ – مدخل. – مقدمة. – العرض. – المتنبي وعضد الدولة. – في الطريق إلى شيراز. – التوجه إلى عضد الدولة. – شعر المتنبي في عضد الدولة. – الخاتمة.	34 صفحة
	– فهرس الموضوعات	

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على نبي البشرية جمعاء الذي أدبه ربع فأحسن تأديبه ولغته بأكمل الأوصاف حيق قال: {وإنك لعلى خلق عظيم}. سورة القلم الآية 04.

وبعد ...

تشكلت الدولة العباسية من عناصر مختلفة وطبقات متباينة فكانت هناك طبقات غنية عم البذخ والترف حياتهم والتمتع بحياة اللهو والمجون وكان ذلك على حساب الطبقة العامة المحرومة لينعم الخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة العباسية بحياتهم ،مما دفع العديد من الشعراء العباسيين إلى الخروج عن نظام السلطة والتمرد عليها وهذا ما رصده ياسين عايش خليل في كتابه قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة من خلال رصده لمظاهر تمرد الشعراء العباسيين على أشكال السلطة السياسية والإجتماعية والدينية والفنية من خلال التعبير عن ذو القمم الفردية أو الجمعية في فضاء الإبداع والتحرر من كل قيود السلطة التي كانت تفرضها عليهم، مما شكلت موقفا مناهضا للسلطة العباسية التي كانت تقيد إبداعاتهم فأخذت السلطة تواجه تمردهم بقوة وعنف في وجوه المخالفين لهم وردعهم.

– ومن هنا تبادر في ذهني مجموعة من الأسئلة وهي كالتالي:

– من هم أبرز شعراء التمرد في العصر العباسي؟ وما مدى تأثر الشعر بتمرد الشعراء على السلطة السياسية والإجتماعية والدينية والفنية؟

وهل أسهم تمرد قلم الشعراء في ازدهار الشعر العربي؟

– وللإجابة عن هذه الإشكاليات قمت بوضع خطة توازي فصول الكتاب تتكون من: مقدمة يليها مدخل وخمسة فصول وكانت كالتالي:

الفصل الأول كان بعنوان: بشار بن برد والسلطة اندرج تحته مبحثان:

– المبحث الأول تعرضت فيه إلى تمرد بشار بن برد على السلطة.

– المبحث الثاني تناولت فيه عوامل تمرده (التفرد في النظم والهجاء).

– أما الفصل الثاني كان بعنوان: الإتجاه النواسي والتمرد في الشعر العباسي اندرج تحته ثلاثة مباحث، المبحث الأول تحدثت فيه عن ظاهرة المجون في العصر العباسي والمبحث الثاني تناولت فيه أبو نواس والتمرد على السلطة، والمبحث الثالث تعرضت فيه إلى أبي نواس وعقيدة الإرجاء.

– أما الفصل الثالث فموسوم بـ: جدلية العلاقة بين الإبداع والسلطة في شعر الزهد انطوى تحته المبحث الأول تناولت فيه تمرد أبي العتاهية على السلطة والمبحث الثاني تناولت فيه مذهب أبي العتاهية في لغة الشعر.

– أما الفصل الرابع كان بعنوان: الفقر والتمرد في الشعر العباسي اندرج فيه مبحث واحد تعرضت فيه إلى تمرد الشعراء المعوزيين على السلطة.

– أما الفصل الخامس والأخير كان بعنوان المتنبي وضريبة التمرد احتوى على مبحثين، المبحث الأول تناولت فيه علاقة المتنبي مع عضد الدولة والمبحث الثاني تناولت فيه شعر المتنبي في عضد الدولة.

وبعد تلخيص الفصول تطرقت إلى دراسة وتقويم الكتاب ليليها خاتمة تضمنت نتائج هذه الدراسة.

ومن الأسباب والدوافع التي كانت وراء اختياري لهذا الكتاب هي قضية التمرد في العصر العباسي وقلة الدراسات حول تمرد الشعراء العباسيين على السلطة.

– واعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي والتاريخي.

– والهدف من هذا الموضوع هو التعرف على مظاهر التمرد في العصر العباسي والتعرف إلى نماذج من شعر التمرد في العصر العباسي.

* ومن أهم المراجع التي اعتمدت عليها في دراستي لهذا الكتاب هي:

- تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف.
- الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة.
- إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني هجرة محمد مصطفى هدارة.

* وقد واجهتني عدة صعوبات في هذا البحث على رأسها: صعوبة الحصول على بعض الكتب، كما تعذر عليا الوصول إلى كل الشعراء المعوزيين.

كما لم أعثر على مراجع ودراسات تناولت الموضوع كان جلها يتناول الموضوع بشكل جزئي لا يتصف بالشمولية.

وفي الأخير أتقدم بالشكر إلى الأساتذة المشرفة **"بلميهوب هند"** التي لم تبخل علي بتوجيهاتها وإرشاداتها، فجزاك الله عني خير الجزاء ولأشكر كل من قدّم لي يد المساعدة.

تيسمسيلت في:09 سبتمبر 2020

* عديم الزهرة

السيرة الذاتية للكاتب:

– ياسين يوسف عايش خليل من مواليد القدس فلسطين عام 1945م عمل مدرسًا في جامعة عمر المختار بليبيا بين عامي 1992- 1994م ثم عُيّن في قسم اللغة العربية بكلية الأداب في الجامعة الأردنية بين عامي 1995- 2015م.

– درّس في جامعة الملك سعود بالرياض عام 1993- 1994.

كما درّس في جامعة العلوم الإسلامية في عمان.

– صدر له جملة من الكتب من بينها كتاب:

– قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة.

– علم العروض.

– دراسات في الأدب العباسي.

مدخل

مدخل:

تضمن الكتاب مقدمة قدم فيها الكاتب أمثلة ساطعة على تصادم الشعراء العرب مع أرباب السلطة السياسية والإجتماعية والدينية واللغوية والنقدية، ولم يكن هذا التصادم نابعًا من رغبة مستكنة في ذوات أولئك المبدعين على شرائح مجتمعاتهم وأعرافها القارة بقدر ما كان نابعًا من إحساسهم بأن فضاء الحرية في القول والتعبير عن الذات الفردية والجمعية يجب ألا تكون له سقوف محدودة وأما من كانت بيدهم السلطة فكانوا يظنون أن رفع السوط عاليا في وجوه المخالفين أو فتح أبواب السجن لهم أسلوبًا نابعًا لإسكات وتكميم الأفواه.

وقد رفع السوط وفتح السجن وجرح الشاعر المتمرد والنقد ولكنه لم يسكت وبيان ذلك ما نجده في قصائد جاهلية وإسلامية وأموية وعباسية كثيرة حتى ليكاد المتمرد أن يكون ظاهرة في مسيرة الشعر والشعراء الأوليين[1].

والقضايا المتناولة في الكتاب هي: رصد لمظاهر التمرد على أشكال السلطة في شعر بشار بن برد – بيان تجليات تمرد أبي نواس وزمرته على السلطات المختلفة في عصره – النظر إلى أشكال التمرد التي أبداها طائفة من شعراء الزهد وعلى رأسهم أبو العتاهية.

– الوقوف على أشعار طائفة من الشعراء المعوزيين الذين ضيق عليهم في أرزاقهم فسال الشعر على ألسنتهم شكوى مريرة وسخطا حادًا ولتمردًا ممن كانوا يحوزون في دورهم وقصورهم كل أسباب الثراء.

– وأيضا بيان قضية مركزية في شعر أحمد بن الحسين المتنبي وانتقاده لحكام الأعاجم مما أدى بذلك إلى تدبر له مكيدة. وتنتهي بقتله

– مقاربة سيميائية للغلاف : زخرف هذا الكتاب باللونين الأسود والأخضر المتدرج إلى الأصفر.

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2011، ص 9.

في أعلى الكتاب يوجد اللون الأسود وهو دال على الظلم وعلى أرباب السلطة المستبدة أما اللون الأخضر المتدرج إلى الأصفر فيدل على الشعراء المبدعين الذين أرادوا أن يثبتوا حرية القول والتعبير عن الذات الفردية والجماعية وهذا في ذاته تمرد على السلطة.

وفي وسط الكتاب توجد صورة لرجل في مكان عالٍ وبيده سيف باللون الأسود وهي قدل على الحكم والجبروت وعلى السلطة التي رفعت سيفها في وجه المخالفين والمتمردين عليها وذلك بزجهم في السجون ولكن وسائل الردع هذه لم تجد نفعًا والدليل وجود قصائد من مختلف العصور، العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي.

وكذلك وجود صورة لمباني قصور فخمة دالة على التطور العمراني آنذاك وعلى الثراء الفاحش الذي كان في تلك الفترة أي فترة الدولة العباسية.

وكتب في أعلى الكتاب باللغة الأجنبية الشاعر العباسي Abbasid Poets باللون الأحمر وكتب أيضا في أعلى الكتاب عنوان الكتاب بالخط الكوفي باللون الأصفر وكتب إسم المؤلف ودار النشر في أسفل الكتاب بالخط العربي باللون الأحمر.

– الحقل المعرفي الذي تنتمي إليه هذه الدراسة هو الأدب القديم في دراسة الشعر العباسي حول تمرد الشعراء العباسيين على السلطة. فقد ظهر التمرد في العصر العباسي حول السلطة كما كان في الجاهلية ولكن في العصر العباسي كان التمرد في مضمون وبناء القصيدة وهذا في ذاته تمرد على السلطة وعلى رأسها السياسية والقبلية التي كانت تمسك بزمام الأمور وتتحكم في رعاياها كما تتحكم في سقف الحريات لهم تليها السلطة السلطة الدينية وسلطة القيم والعادات الاجتماعية وسلطة النقاد والأدباء وعلماء اللغة والنحو مما دفع بالشاعر إلى التمرد عليها سواء كان من الفرس أو البراكمة أو غيرهم من شعراء العصر العباسي أمثال أبي نواس وأبي العتاهية وبشار بن برد والمتنبي وشعراء الكدية فقد كانت تضيق عليهم مسارب الحياة وكانت تمارس عليهم ضروبًا من الرقابة على المبدعين وتقلل من شأنهم فسعى الشاعر العباسي إلى تحطيم القيود التي فرضتها السلطة على الناس وعلى المبدعين من خلال أشعارهم والتعبير عن ذواتهم الفردية والجماعية.

والملاحظ من خلال بحثي عن دراسات موازية أو متقاربة من الموضوع غياب وقلة الدراسات حول التمرد في الشعر العباسي. وما وجدته إلا دراسات جزئية تتعلق بالشعراء العباسيين لكن دون تخصيص ظاهرة التمرد مثل شوقي ضيف ومحمد مصطفى هدارة. مصطفى الشكعة ... إلخ وبعد التقصي وجدت مخطوطة دكتوراه لفيصل حسين طحمير العلي في التمرد في الشعر العصر العباسي الأول سنة 2004 تناول من خلالها دراسة التمرد في الشعر العباسي فيرى أنه تعددت في هذا العصر الأحزاب والفرق والمذاهب والحركات المختلفة وكان لهذه الأحزاب والفرق والمذاهب شعراء يرفعون راياتها ويدافعون عن مبادئها الأمر الذي كون شعرًا متمردًا لجوانب متعددة على الساحة العباسية وتناول فيصل حسين في هذه الدراسة شعر التمرد السياسي الذي يدور حول الحزب العباسي الحاكم والشيعة والخوارج والموالي (الشعوبية والبرامكة) وشعراء التمرد الديني وتركزت هذه الدراسة حول المرجئة والزندقة وحركات التمرد العقائدية وكذلك التمرد الاجتماعي شمل كل من شعراء الكدية والصعاليك واستعرض من قضايا التمرد الفنية المختلفة عند أهم أعلام التمرد أهمهم بشار بن برد وأبو نواس وأبو تمام. ولقد تشكلت هذه الأنواع المختلفة تمرد هذا العصر مجموعًا شعريًا ضخمًا أظهر مميزات هذا العصر التمردية وسماته الموضوعية والفنية لجوانب التمرد مما جعل هذا العصر يتميز بمميزات شعرية تختلف عن العصور الأخرى[1].

– ووجدت أيضا مقالة لكل من إنصاف محمد سالم المومنى وحسين يوسف قزف وعمر عبد السليمان المومنى في مجلة كلية الداب، الأدب وعلوم اللغة إلى صور من التمرد في شعر العصر العباسي الأول سنة 2012 كشف من خلال هذه الدراسة بعض صور التمرد في شعر العصر العباسي الأول، فنغير الحياة السياسية والإجتماعية والاقتصادية والفكرية في هذا العصر جعلت كثيرًا من الشعراء

[1] فيصل حسين طحمير العلي، التمرد في شعر العصر العباسي الأول، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، العراق، 2004.

يحسون بالاغتراب ودفعتهم إلى التمرد في مختلف جوانبه الديني والفني والإجتماعي والنفسي وبرزت هذه الصور بروزًا جاليا في أشعارهم مثل شعر بشار بن برد وأبو نواس وأبو دلامة ... إلخ[1]

– وكذلك فتيحة أزرق مكين جابر تطرقت في دراستها إلى مظاهر التمرد في الشعر العباسي سنة 2017 في إبراز أثر التمرد في الشعر العباسي وبيان مدى تأثرهم بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأدبية وأشارت إلى بعض مظاهر التمرد في الشعر مثل التمرد الفني والتمرد النفسي وظهور التمرد الوجودي القبلي عند بعض الشعراء والتمرد الاجتماعي على القيم والتقاليد، وبرز التمرد الفني بصورة جلية في شعر أبو نواس على افتتاح قصائدهم بذكر الخمر بدل الوقوف على الأطلال[2].

– ومن أبرز الدوافع التي جعلت الكاتب يكتب هذا الكتاب هي:

– نفي التهمة عن الشعراء العباسيين بأنهم كانوا يسيرون في ركاب السلطة وأنهم كانوا ينفخون في أبواقها.

– تبيان مظاهر التمرد البادية في أشعارهم.

وبعد تطلعي ودراستي لهذا الكتاب أجد أن الكاتب قد تقيد بمعايير العلمية التي لا يكاد يخلو منها أي بحث والتزامه بالأمانة العلمية من خلال توثيقه للمصادر التي استقى منها معلوماته واعتمد عليها في دراسته فقد أخذ الكاتب معلوماته من مصادر عدة منها: أبي فرج الأصفهاني في أغانيه وابن قتيبة في الشعر والشعراء، ابن رشيق القيرواني في العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، الصفدى صلاح الدين في نكت الهميان في أخبار العميان وهنا أجد أنه استقى المادة المعرفية ممن سبقوه ولكنه لم يكرر نفس القضايا عنهم إنما جاء بالجديد من خلال دراسته لجزئية معينة وهي مظاهر التمرد بين الشعراء

[1] إنصاف محمد سالم المومنى، حسين يوسف قزف، عمر عبد السليمان المومنى، صور من التمرد في شعر العصر العباسي الأول، مجلة كلية الأداب وعلوم اللغة، ملحق 2، مجلد 72 العدد 1، 2012.

[2] فتيحة أزرق مكين جابر، مظاهر التمرد في الشعر العباسي، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة ماجستير الأداب في اللغة العربية، جامعة الجزيرة، 2017.

العباسيين على السلطة في شعرهم. والوقوف على طائفة من الشعراء المعوزين وإبراز مظاهر التمرد من خلال شعرهم.

- ومن أهم المصادر العربية التي استند إليها الكاتب في دراسته هي:
- الأصبهاني. حمزة بن حسن التنبيه من حدوث التصحيف.
- الأصفهاني. أبو الفرج علي بن الحسين، الأغاني.
- بشار بن برد، ديوان بشار بن برد.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء.
- ديوان أبي نواس.
- ديوان أبي العتاهية.
- ديوان المتنبي.

تقديم وعرض

الفصل الأول

بشار بن برد والسلطة

تمهيد:

تعددت الدراسات حول بشار بن برد، اهتم البعض منها بدراسة أسباب لجوء بشار إلى المجون والغزل في شعره، والبعض الآخر اهتم بمظاهر الثبات والتحول في شعره، غير أن ظاهرة تمرده على السلطة لم تحظ بدراسة قائمة بذاتها، وهو ما تؤكده كتابات طه حسين في كتابه حديث الأربعاء، والمازني في بشار بن برد والعقاد في مراجعات في الأدب والفنون[1].

إذ ركز معظم الدارسين على حياة بشار وشعره. مما دفع الكاتب إلى إختيار هذه الدراسة وأعطاها مشروعيتها ليبرز من خلالها مظاهر تصادم بشار بن برد مع أشكال السلطة التي عاصرها وتمرد عليها، وعلى رأسها السلطة السياسية والإجتماعية والدينية وسلطة النقاد والأدباء وعلماء اللغة والنحو ومتذوقي الشعر عمومًا[2].

[1] أنظر الدراسات الكثيرة التي كتبت عن بشار: محمد محمود سالم، بشار بن برد، بين القدماء والمحدثين. رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة دمشق، 1983 ثبت المصادر فيها، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ط 1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2011، ص 20.

[2] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 20، 21، 22.

تمرد بشار برد على السلطة:

– يعد بشار بن برد من أهم الشعراء العباسين[1]، بحسب النقاد. وقد ولد أعمى في القرن الأول هجري، وصف بقبح الخلقة، ولد على الرق، من قبيلة بني عقيل. نشأ فصيحًا وكانت أسرته فقيرة كلها عوامل أسهمت في نزعة التمرد عنده قتل 178 في خلافة المهدي بأمر منه، متهما بالزندقة[2].

– ويذهب عارف حجاوي إلى أن مولد بشار وطفولته وشبابه كان في العصر الأموي وأجداده كانوا من سادة الفرس وانتمى لكسرى من جهة أبيه ولقيصر من جهة أمه الرومية. تزوج بشار وكانت له جارية أو أكثر وكان ذا شخصية، نشأ مدلل بين نساء بني عقيل. بعد أن حرره القوم من الرق، وعرف أنه مولى وأصله من طخرستان[3].

– وكان قد نجا قبل ربع قرن من موت محقق على يد أبي جعفر المنصور بعد أن هجا المنصور وانحاز إلى العلويين. محمد ابن عبد الله وأخيه إبراهيم فقال في قصيدة يتهدد المنصور فيها:

أَبا جعفر ما طُولُ عَيْشٍ بِدَائمِ ولا سَالِمٌ عما قليلٍ بسالِم

على المَلِكِ الجَبَّارِ يَقْتَحِمُ الرَّدى ويصرعهُ في المأزق المتلاحم

كَأنَّكَ لم تَسْمَع بقتل مُتَوَّج عظيمٍ ولم تسمع بفتك الأعاجم

لكن ذكاء بشار وحنكته وبراعته الشعرية تأكدت بعد فشل ثورة العلويين وموت زعيمها حيث اضطر بشار إلى تعديل القصيرة وتحويلها من قصيدة هجاء وتهديد للمنصور موالاة ومؤازرة له والتحقير بالخليقتين الأمويين. الوليد بن زيد ومروان بن محمد، ومما عدله في قصيدته كما يقول أبو

[1] أنظر مثلا: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق، أحمد محمد شاكر، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1967، ج 2، ص 757، 760، ابن معتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد قراج، ط 3، دار العارف، القاهرة، 1976، ص 28، 29.

[2] المصادر التي عرفت بشار كثيرة: أنظر مثلًا: الشعر والشعراء، ج 2، 757، طبقات الشعراء، 21، الأغاني، أبو الفرح الأصفهاني، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1929، ج 3، ص 143.

[3] تجديد الشعر زيدة الشعر من بشار إلى البحتري، عارف مجاوي، ط 1، دار المشرق، القاهرة، 2017، ص 17، 18.

الفرج الأصفهاني[1] أن كنية (أبا مسلم) حلت محل (أبا جعفر) وكنية (ابن وشيكة) محل (ابن سلامة) في قوله:

قد وزر ينجيك يا بن سلامة فلست بناج من مضيم وضائم

وحذف بيتا أظهر فيه ثناءه على العلويين في قوله:

من الفاطيمين الدعة إلى الهدى جهارًا ومن يهديك مثل ابن فاطم

وهذه القصيدة أقدم قصيدة تاريخيًا ترصد صراع بشار مع السلطة السياسية إذ يرى الكاتب أن بشارًا كان متمردًا على أنماط السلطة منحازًا إلى مبدأين

المبدأ الأول: إيمانه بحقة أن يحيا وفق ما يحب.

المبدأ الثاني: إيمانه الراسخ بقدراته الفنية العالية.

فهذه العلاقة الجدلية بين إيمان بشار بقدراته الإبداعية وموقفه من الحياة والموت هي التي ولدت هذا التصادم بين بشار وأشكال السلطة[2].

ويصفه مصطفى الشكعة بأنه كان حاد الطبع متطرف المزاج بالإضافة إلى ضرره وإذا كان الضرر وحدّة المزاج مما يعكر على الإنسان صفوة حياته فإن ذلك في مجال الشعر والخلق الفني قد يدفع إلى الإبداع كما يدفع إلى السقوط أحيانًا فبشار وهذا مزاجه متطرف في حيه وفي الجري وراء اللذة متطرف في مدحه متطرف في هجاءه[3].

- ويورد الكاتب عدة أمثلة دالة على سيرة حياته ما كتب في كتب التراجم والأدب منها :

1. روي عنه أنه قال (آزري بشعري الأذان)[4].

[1] أنظر هذه القصيدة وملابستها: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 3: 156.

[2] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 24- 25.

[3] الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص 101.

[4] الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ج 3، 143.

2. روي صاحب الأغاني عن الجاحظ قوله: "كان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين" في قوله[1]:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

3. وقال واصل أيضًا في الإشارة إلى خطورة شعر بشار على أخلاق الناس "إن من أخدع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد"[2].

4. وجاء في الأغاني أن مالك ابن دينار جاء بشارًا بعد أن بلغه هجاءه للناس وتشبيه بنسائهم، وقال في آثره[3].

غدا مالك بملاماته علي ومابات من باليه

تناول خودًا هضم الحشا من الحور محظوظة عالية

فقلت مع اللوم في حيها فقلبك أعيبت عذالية

يخلص الكاتب بعد النظر إلى هذه الأخبار عن أشعار بشار إلى النتائج التالية:

1. أن بشار كان مخلطا في العقيدة ولم يكن يأبه للعقيدة الإسلامية مستدلًا بهجائه اللاذع وغزله الماجن.

2. تفرد بشار في الغزل تفردًا لا نظير له في أشعار الغزليين المشهورين قبله وخطورة شعره الغزلي في دعوته للنساء إلى التمرد على السلطة الذكورية والخروج عن الأعراف[4].

---

[1] نفس المصدر، ج 3، ص 143.

والبيت في الجاحظ، أبو عثمان عمر بن محبوب، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د. ت، ج 1، ص 16، 23.

[2] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 3، 182.

[3] نفس المرجع، ج 3، 171 والأبيات في ديوان بشار، بشار بن برد، شرح حسين حموي، د. ط، دار الجيل، بيروت، 1996، ج 2، 588.

[4] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 27.

ويرى عارف حجاوي. أن جل الشعر الذي قال بشار في العصر الأموي كان في الغزل وكان فيه من جزالة الشعر الأموي ومن ألفاظه وكان فيه أيضًا كا ما في نفس بشار المتوقدة من خيال جامع ومن شهوانية ومن قلة اكتراث بالمعتقدات[1].

– في قصيدته اليائية التي نظمها إثر نصيحة مالك ابن دينار دليل على رغبة المرأة في التحرر من قيود السلطة التي تقيد حريتها. ومما يدل على ذلك في هذه الرغبة هي نفلت المرأة من قيود السلطة الذكورية في قصيدة حكى فيها مع نساء خمس جئن إلى مغزله روي[2]:

لما طلعن من الرفيق علي بالبردان خمسًا

فسألتني من في البيوت فقلت ما يأمرني إنسًا

ليت العيون على الطارفات طمس عنا اليوم طمسًا

فأصبن من طرف الحديث لذاذة وخرجن ملسًا

– يرى الكاتب من خلال هذه القصيدة توجسهن وهيبتهن من سلطة الرقباء حين قصدن منزل بشار بصمت وتستر، كما تبين رغبة بشار في ضرورة التخفيف من قيود السلطة الذكورية على النساء ولها في منطق بشار أن تحب من تشاء[3].

– إذ يقال أن بشار نجح في هذا التمويه نجاحًا كبيرًا، مما جعل دعاة الأخلاق والدين والسلطة يتعقبونه لخطورة شعره على أخلاق الشبان والشبات في عصره وتهديد المهدي له حين سمع بشار يقول[4]:

لا يؤينسك من مخبأة قولُ تغلظه وإن جرحا

[1] تجديد الشعر زبدة الشعر من بشار إلى البحتري، عارف حجاوي، ص 18. 20.

[2] ديوان بشار 2: 417، 418، وانظر قصتهما في الأغاني، ج 3، ص 129- 170.

[3] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 28. 29. 30.

[4] ديوان بشار 1: 465.

عسر النساء إلى مباسرة والصعب يمكن بعدما جمعا

يحكى بشار عن تجاربه مع النساء حيث بدأ بالمبالغة وانتهى بالإمكان والتسيير[1].

ويؤيده مصطفى الشكعة في أن بشار كان يعرج على الحرائر فينال من قدرتهن على دفع الإنحراف ويشكك طلاب اللذة والإثم في مقدرة المحصنات على الإحتفاظ بعفتهن، فيدعو إلى الفحشاء وينال من الحرائر الطاهرات ومن نساء زمانه وزمان غيره في قوله:

قاس الهموم تنل بها نجحًا والله إن وراءه صبحًا

لا يؤينسك من مخبأة قولُ تغلظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مباسرة والصعب يمكن بعدما جمعا

يرى أن قصائد بشار من هذا النوع الفاضح كانت تتسرب إلى البيوت خلسة حتى تقرأها النساء، واعتبر شعره خطرًا على الحرائر وهذا ما دفع بالملك العباسي المهدي أن يمنعه من هذا اللون من القول بل من الغزل كله[2] ويستغرب الكاتب وعود بشار لاستجابة لرغبات أصحاب السلطة والخليفة المهدي ووعده لهؤلاء في الإقلاع والتوقف عن التشبب قوله في القصيدة[3]:

تثاقل ليلي فما أبرح ونام الصباح فما أصبح

وكنت إمرءًا بالصبا مولعًا وباللهو عندي له مفتح

نهاني الخليفة عن ذكرها وكنت بما سره أكدح

فأعْرضت عن حاجتي عندها وللموت من تركها أروح

[1] المصدر السابق، ص 30. 31.

[2] الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، ص 131.

[3] ديوان بشار ج 2: 359. الأغاني، الأصفهاني، ج 3، ص 220.

ففي قصائد بشار الغزلة نجده يتمعن في ذكر محاسن المرأة وحناتها والإقبال على ما تتيحه له من متع الدنيا من النساء والخمر. كما ولع بشار إضافة إلى النساء بالمتعة الثانية وهي الخمر وكؤوسها التي لجأ إليها خوفًا من الموت تَارة ونسيانه للمرأة فيقول[1]:

بت من حبها أوقر بالكأس ويهفو على فؤادي الهيام

رب كأس كالسلسبيل تعللت بها أو نام عني نيام

ويرجع سبب تعلقه بهاتين اللذتين **الخمر والنساء** حيث يمثلان محورين أساسيين في شعره هو خوفه من الموت فيقول[2]:

كيف يصفو لي النعيم وحيدًا والخلاء في المقابر هاموا

نفستهم علي أم المنايا فأنا متهم بعنف فناموا

ونجد بشار في قصائده الغزلة يتجاوز أوامر المهدي ونواهيه إلى ضرب من السخرية. ويقوم بوصف المرأة والتغني بحناتها فيقول في إحدى قصائده[3]:

فرب ثقال الردف هبت تلموني ولو شهدت قبري لصلّت على قبري

ولولا أمير المؤمنين محمد لقبلت فاها، أو لكان بها فطري

ويؤيده مصطفى الشكعة أيضًا لأن شعر بشار كان يحض على الفساد ويشجع الدعوة إلى الانحلال ويدعو إلى مخاطبة الغرائز البهيمية في الناس بحيث أضاف معول هدم إلى المجتمع ... ويدعو إلى الجرأة في وعدم الاهتمام بالمجتمع أو إقامة أي وزن للقيم[4]. فيقول:

---

[1] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل ص 32.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 33.

[3] الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ج 3، ص 149.

[4] الشعر والشعراء في العصر العباسي الأول، مصطفى الشكعة، ص 131.

لا خير في العيش إن كنا كذا أبدا لا تلتقي وسبيلُ المتلقى نهج*

قالو حرام تلاقينا فقلت لهم ما في التلاقي ولا في قبله حرج

– يعلل الكاتب سبب لجوء بشار إلى الغزل الماجن الذي يتحدى في كثير منه السلطة هو إيصال رسالة مضمونها أن الحياة الإنسانية تكمن في المرأة التي تنسيه مخاوفه من الموت وإرضاء رغباته. وتجاوزه لأوامر المهدي والساخطين عليه والطلب منهم أن يدعوه ينظم ما يريد في شعره[1] والإقلاع عما هو فيه مستحيل لأنه يرى أن الجمال الأنثوي خلق ليستمتع به الشعراء وهذا من أسباب لجوئه إلى الغزل لأنه كان يسعى إلى تقديس الجمال بالفن الشعري[2].

وهذا ما أثبته أبو فرج الأصفهاني عن الأصمعي فيقول: "كان بشار أقبح الناس عمى وأفظعه منظرًا، وكان إذا أراد أن يشتد صفق بيديه وتنحنح ويبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالعجب"[3].

وهذا ما جعله متميزًا معجبًا لغيره، وبفنه وإثارة المتلقين وإمتاعهم رغم منظره القبيح[4].

عوامل تمرده:

1. التفرد في النظم:

سعي بشار بن برد في حياته وفي فنه الشعري إلى مطلبين مركزيين هما رغبته في الخلود في الدنيا ليشبع من ملذتها، ورغبته في الخلود بالفن الشعري، ولما كان المطلب الأول مستحيل التحقيق حاول في الإتجاه الثاني تحقيقه في شعره ويجود فيه، ويدافع عنه، مما أدى به إلى التصادم بالسلطة السياسية والإجتماعية، وقد سبق أن بين موقفه من تمرده على كل من حاول أن يتصدى لعبثه في غزله الماجن وهجائه اللاذع ومن الأخبار والمواقف التي أوردها الكاتب التي يبين فيها رغبة بشار في الخلود بالفن

* أي واضح بين.

[1] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 33.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 34.

[3] ديوان بشار، ج 2، ص 419.

[4] ينظر: المصدر السابق ص 34. 35.

الشعري مما جعلته هذه الرغبة غير متسامح مع كل من يحاول أن ينقص أو يقلل من شعوره بالتفوق في النظم[1].

1. ففي رواية، قال أحدهم لبشار: "ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم، وشك فيه، وإنه ليس في شعرك ما يشك فيه، قال: ومن أين يأتيني الخطأ؟ ولدت ها هنا ونشأت في حجور الثمانين شيخًا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت إلى نسائهم، فنسائهم أفصح منهم وأيفعت فأبديت، إلى أن أدركت فمن أين يأتيني الخطأ"[2].

2. قال عقبة بن رؤبة بن العجاج لبشار: "إنك لا تحسن نظم الرجز فغضب بشار وقال: آلي يقال هذا؟ أنا والله ارجز منك ومن أبيك وجدك ثم نظم أرجوزته:

ياطلل الحي بذات الصمد بالله خبر كيف كنتِ بعدي

3. وبشار هو القائل أيضًا في بعض شعره، معتدًا بشاعريته، معللا سبب انصرافه عن الغزل ومعاقرة الخمر والتلذذ بسماع الأحان في مجالس الخلان كرهًا واضطرارًا، تلبية لرغبة الخليفة المهدي[3]:

والله لولا رضا الخليفة ما أعطيت ضيمًا علي في شجنِ

وربما خير لابن آدم في الكره وشق الهوى على البدن

فأشرب على أبنة الزمان فما تلقى زمانًا حنا من الأبن

قد عشت بين الريحان والراح والمزهر في مجلس حسن

وقد ملأت البلاد ما بين فغ فورٍ إلى القيروان فاليمن

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 35.

[2] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 3، ص 150.

[3] ديوان بشار، ج 2، 535، والابن: الكدر

شعرًا تصلي له العواتك والشيب صلاة الغواة للواثن

ثم نصا في المهدي فانصرفت نفسي ضيع الموفقِ اللقن

4. ويروي محمد بن سلام عن خلف بني أبي عمرو، أو خلف الأحمر أنه قال: "كنت أسمع ببشار قبل أن أراه فذكروه لي، وذكروا بيانه، وسرعة جوابه وجودة شعره، فاستنشدتهم شيئا من شعره، فأنشدوني شيئا لم يكن بالمحمود عندي، فقلت: والله لآتينه، ولأطأطئن منه، فأتيته وهو جالس على بابه، فرأيته أعمى قبيح المنظر، عظيم الجثة، فقلت: لعن الله من يبالي بهذا ... فبينما أنا كذلك جاءه رجل، فقال: إن فلانا ذمك عند الأمير محمد بن سليمان، ووضع منك، فقال: أو قد تفعل؟ قال: نعم، فأطرق وجلس الرجل عنده، وجلست، وجاء قوم فسلموا عليه، فلم يردد عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد درّت أو داجه، فلم يلبث إلا ساعة حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفخمه:

نبئت (ناكح) أمه يغتابني عند الأمير، وهل علي أميرُ

ناوي محرمة وبيتي واسع المعتفين، ومجلس معمورُ

ولي المهابة في الأحبة والعدى وكأنني أسد له تامورُ

غرثت حليلته وأخطأ صيده فله على لقم الطريق زئيرُ

قال: فارتعدت والله فرائضي. واقشعر جلدي، وعظم في عيني جدا"[1].

– يرى الكاتب من خلال هذه الأخبار والأشعار رغبة بشار هي تجويد شعره والتفوق على أقرانه بما يمتلك من أدوات الفن الجميل حتى في الرجز لذلك سعى إلى التفرد وابتكار معان وألفاظ لم يسبق إليها وهو ما يؤكده نجيب البهتي في حصره هذه المظاهر حين قال "تجديد بشار لشعره كان في نواح ثلاث : لفظه، معانيه، صياغته ... فالرجل في هذا متحرر من كل ما كان يقيد سابقيه، وكان يعبر

[1] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 3، ص 191.

عن حياة جديدة، فهي ترف الملبس، وترف كل شيء فلم يكن يدمن أن يظهر هذا الترف في لفظه ومعانيه وصياغة شعره"[1].

ويرى شوقي ضيف أن الرواة والنقاد أجمعوا على أنه زعيم الشعر العباسين المحدثين وهي زعامة ترد إلى أنه استطاع أن ينهج لهم في قوة السيل التي ترسَّمها الشعراء من حوله ومن بعده وهي سبيل تقوم على التمسك بالأصول التقليدية للشعر العربي من جهة، ومن جهة ثانية لتجديد الشاعر العباسي بحكم رقيه العقلي ومعيشته الحضارية، وبذلك ازدهر الماضي في الحاضر ونما الحاضر من خلاله هذا النمو الذي جعل الشعر العربي عنده يحتفظ بشخصيته الخالدة. إذ ظلت أساليبه مطبوعة بطوابع النصاعة والإيجاز والتركيز، تلك الطوابع التي تشيع فيه الدقة والوضوح والجمال كما ظلت معانيه وأغراضه البدوية القديمة بجميع رواسبها الخيالية، وحقا حدث فيه تجديد واسع ولكنه تجديد لا يفصله عن قرائه[2].

* وفي كل هذه الأخبار نجد بشار يحاور عن وعي وعن قصد في سهو شعره وإرضاء ذوق المتلقين له حسب رؤيته هو لا هم والدفاع عن مذهبه في لغته الشعرية، والاعتراف به وبإبداعه من خصومه ومنتقديه وقد استنتج الكاتب من خلال هذه الخبار والمواقف مايلي:

1. الشهادة لبشار بالتفوق والتمييز (صاحب بيان، وسرعة جواب وجودة شعر).
2. حساسيته المفرطة من أن ينتقد أو يذم.
3. قبح المنظر لا يعني قبح المخبر فالكثير من الناس يحكمون على المظاهر قبل أن يعرفوا ما هو موجود في الداخل وهذه حال بشار إنسانًا وشاعرًا.
4. لا يتحرك النقد إلى إذا كان الشعر مدعاة له له وشاعره المبدع يحفزه النقد لكي يجود في شعره حتى يبهر ويعجب.

[1] البهيتي: أبو تمام حياته وحياة شعره: 179. مقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 40.

[2] تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ط 16، دار المعارف، القاهرة، 1966 ص 207- 208.

– فسعي بشار إلى التجديد حين نظم المخمسات والمزدوجات يدخل في هذا المسعى البشاري نفسه[1].

– أما حقا الفاخوري فيرى أن تجديد بشار هو أنه أنزل الشعر العربي من طبقته الأرسطقراطية التي كانت غالبة عليه من قبل. ونقله بشار إلى الحياة الواقعية وخاصة إلى حياة الشعب الواسعة المتعددة النواحي والأشكال[2].

فقد قال الجاحظ في معرض الإشادة بشاعرية بشار مايلي: "كان بشار شاعرًا صاحب مزدوج ... وهو من المطبوعين، أصحاب الإبداع والاختراع والمفتين في الشعر القائلين في أكثر من أجناسه وضروبه"[3].

ولم تصل من مزدوجات بشار ومخمساته غير رباعيته المشهورة بسوقية لفظها ومبخاها. التي داعب فيها جاريته ربابة وعرضته إلى استهجان متتبعي شعره ومتذوقه بسبب تمرده على القيم الفنية والرباعية أو المزدوجة المقصودة هي[4]:

ربابة ربت البيت تصب الخل في الزيت

لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

– ويرى حنا الفاخوري أن بشار لم يقتصر من حياة الشعب، على الناحية المترفة أو الجانب العاطفي بل راح يتطرق حتى إلى المواضيع اليومية المبتذلة المضحكة التي لم يكن الشعراء القدماء ليحطوا فيها نظرة مثل قوله في جاريته ربابة وبشار لم يقتصر كذلك في شعره على حياة الشعب، ونواحي الترف والابتذال بل أحاط علما بمختلف نواحي التجديد في عصره ... وكان أول من امتزج بحياة عصره واستوعبها من جميع نواحيها ... خارجًا في ذلك عن نهج الشعراء السالفين الذين كانوا

[1] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 41.
[2] تاريخ الأدب العربي، حقا الفاخوري، ط 2، للمطبعة البوليسية، د. ب، 1953، ص 383.
[3] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 3، ص 145.
[4] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 3، ص 153.

غالبًا يقصرون شعرهم على نفوسهم أو على أصحاب النفوذ ويتسابقون في مجال التقليد، دائبين على ترسم خطوات من سبقهم[1].

2. الهجاء:

– يعد غرض فن الهجاء في ديوان بشار بن برد من أهم الأغراض الشعرية بعد الغزل. فأهاجي بشار بذيئة تقوم على السخرية منذ أن كان صبيًا حين هجا جريرًا وهو سيد الهجاء، مما أثارت أهاجيه موجة عارمة من السخط عليه في أوساط الزهاد والعباد والمعتزلة خاصة حين هجا وأصل ابن عطاء[2].

– ويقال إن أباه كان يضربه بسببه ضربًا مبرحًا لكثرة ما يَشْكُو الناس منه وكانت أمه لا تزال تستعطفه عليه : فيقول إني لأرحمه ولكنه يتعرض للناس، فقال له بشار قل لهم : أليس الله يقول (ليس على الأعمى حرج)[3].

– إذ يرى الكاتب أن هجاء بشار يقوم على شيئين هما : إتخاذ الهجاء وسيلة من وسائل الارتزاق.

– إتخاذ الهجاء وسيلة من وسائل الشهرة في المجتمع العباسي لأنه كان يسعى إلى بلوغ قمة المجد الفني[4].

ويؤيده شوقي ضيف من خلال قوله إن بشار احترف الهجاء منذ أول عهده بقوله الشعر لكي يصيب مالا يغنى به ويوسع على أبويه وسائل أهله. ولكي يصيب شهرة وصيتًا عاليا بين الناس[5].

لهذا نقم بعض علماء اللغة والنحو الذين رصدوا الاستعمالات اللغوية التي تتناسب مع قواعدهم ومنه حين طعن الخفش عليه قوله في إحدى قصائده:

فالأن أصر عن سمية باطلي وأشار بالوَجَلَى عليَّ مشير

---

[1] تاريخ الأدب العربي/ حنا الفاخوري، ص 383- 384.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 42.

[3] تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص 202.

[4] ينظر: المصدر السابق، ص 42- 43.

[5] تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، ص 152.

وقوله في أخرى:

على الغَزَلَى مني السلام فبربما لهوت بها في ظل مرودة زهر

وقوله في ثالثة: حيث جمع النون على وزن حيتان ولم يسمع عن العرب ذلك

تلاعب نينان البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

وقال الأخفش تعليقًا على البيتين الأولين لا لم يسمع من الوجل والغزل فَعَلَى. وقال تعليقًا على البيت الثالث: "ام أسمع بنون نينان".

– ولما بلغ بشار هذا الإعتراض : فقال : ويلي على القصارين متى كانت الفصاحة في بيوت القصارين، دعوني وإياه، فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجزع خشية من سلاطة لسانه ... فكان الأخفش بعد ذلك يحتج بشعره في كتبه ليبلغه فكف عن ذكره بعدا هذا[1].

– ويروي هذا الخبر عن بعض الوجوه عن سيبويه أن بشارًا هجاه لذلك فقال :

أسيبويه يا بن الفارسية ماللذي تحدثت شتمي وما كنت تنبدَ

"فتوقا سيبويه بعد ذلك وأخذ يحتج، بشعره استكفافًا لشره"[2].

فالأخفش على ما يقوله بشار ابن القصارين، والقصار مبيض الثياب وسيبويه، ابن امرأة زانية بالبصرة، فيقول المزرباني في الموشح خطيئتهما أنهما انتقدا شعرًا يرى نفسه ملكًا في اللغة وأنه من حقه أن يطور فيها وأنه من حق أبناء اللغة أن يتوسعوا ويستغلوا قدراتهم في التوليد والتفريغ والقياس[3].

– فالخليل بن أحمد يؤيد بشار فيما قاله من خلافه مع الأخفش وسيبويه وبأنه يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيرهم في تصريف الكلام والاحتجاج لهم لا لغيرهم فهذه الطائفة من الشعراء حسب قول الخليل بن أحمد لا يقولون شيئًا إلا وله وجه ويجب تأويل كلامهم على الصحة والتوقف عن تخطئتهم

[1] الأغاني، ج 3، 209- 210، والموشح: 287، والأخفش المذكور هو الأخفش الأوسط سعيد بن سعدة، أنظر في ترجمته: السيوطي، بغية الوعاة 1: 590 نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 43.

[2] الأغاني3: 210، والموشح 287. نقلا عن قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 44.

[3] الموشح، ص 287، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 44.

فبذكائهم وبلوغهم من المعرفة جديرون بأن يؤخذ بتوليداتهم وتطويراتهم للغة لما يدخلونهم من الحذف والزيادة في أشعارهم[1].

– كما يقول حمزة الأصفهاني في التنبيه على حدوث التصحيف[2] وفي الأخبار السابقة أيضًا ما يؤكد أن بشار كان يسعى إلى أن يظل شعره يروى بين الناس وذلك من خلال هجائه للأخفش وسيبويه والإحتجاح بشعره في كتبهما، فالكتابة مظهر من مظاهر الخلود فهي تخلد من تكتب عنهم ولهم.

فإن دعوة المجددين الذين يصطبغ تجديدهم بروح التمرد على الثوابت الفنية والأخلاقية تلقى ما لقيه بشار من رفض وطعون مست أصله وشخصه أكثر مما مست شعره، وقد كانت هذه حال أنظار كل من تعرضوا لهذا الشاعر وأشعاره من القدامى[3].

– وقد أجمل يوهافاك في شعر بشار في قوله أنه لم يكن يبالي بالمحاكاة والتقليد وذلك من خلال أسلوبه الواضح وبيانه الناصح في إختيار الألفاظ أو في العروض وفي شعر الارتجال يمعن بشار في التحرر من الشعر القديم[4].

– ويرى مصطفى الشكعة أن بشار حين أراد أن يعلو ذكره في الشعر وكان لا يزال صبيًا صغيرًا التفت حوله في محيط الشعراء فلم يجد بينهم من هو أرق قولًا وأجزل قصيرًا ولا أوسه شهرة من جرير أمير الشعراء وسيده فلم يتردد في أن يجعل جريرًا هدفًا يقذف إليه ببعض أبيات الهجاء لكن جرير لم يرد عليه[5].

---

[1] حمزة الأصبهاني: التنبيه على حدوث التصحيف: 157، 158. نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 44.

[2] المرجع نفسه، وانظر نعيمة رحيم العزاوي النقد اللغوي 88، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 45.

[3] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 45.

[4] يوهان فاك: العربية 43. نقلا عن قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 45.

[5] الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، ص 152.

ولذلك فإن بشار قال: هجوت جريرا فأعرض عني واستصغرني ولو هجاني لكنت أشعر الناس[1] وظل بشار يتألم لهذا الإهمال نفسيًا لكن الألم الحقيقي كان لضياع الفرصة فلو رد بشار عليه لأثبت بشار قدمه الشعرية في العصر الأموي بشهادة موثقة. ولكان من شعراء عصر الإحتجاج، لكن القدر شاء أن يكون لبشار تصنيف آخر فهو رئيس المحدثين وسيدهم[2].

ويقسم مصطفى الشكعة هجاء بشار إلى مراتب ثلاثة:

– **المرتبة الأولى** : مرتبة من الانحدار والانحطاط والنيل من أعراض والمبالغة في الإفحاش إلى مستوى من التردي تخدش حياء السامع وأكثر هذا النوع من الهجاء قاله بشار حماد عجرد وابن زيد وسهيل بن سالم والباهلي.

– **المرتبة الثانية** : من هجاء بشار أقل إنحطاطًا من المرتبة السابقة ولكنها لا تزيد عن عملية الشتم والسب وهذا النوع من الهجاء يقصد به التشهير والتحقير والحط من قدر المهجو وقومه وليس فيه طعم لفن أو رائحته لذوق شعري مثال ذلك قوله يهجو باهلة

أجرنا الباهلي من المنايا فلم يشكر لنا كرم الجوار

يفاخرنا ونعمتنا عليه وقيم الباهلي من الفخار

– **المرتبة الثالثة** : عن هجاء بشار من ضروب الشعر اللطيف الذي يكمن استقراؤه والاستماع ببعض ما حوى من معان مبتكرة أو سخرية فكهة[3].

– ومن أمتع أبيات بشار في الهجاء ما قاله في العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أخ الملك العباسي أبو جعفر المنصور والأبيات ممتعة من حيث هي فن شعري وبراعة في الصوغ موشاة

[1] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 3، ص 143.

[2] تجديد الشعر ... زبدة الشعر العباسي من بشار إلى البحتري، عارف حجاوي، ص 18.

[3] الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، ص 103.

بالحكمة محسًا بقضايا فكرية وعلل منطقية والأبيات قائمة على توليد المعاني التي سهر بشار على إتقان صناعة الإطار اللفظي والمحور الشعري الذين وضعها فيه[1].

قال بشار:

ظل اليسار على العباس ممدود وقبله أبدًا في البخل معقود

إن الكريم ليخفى عنك عسرته حتى نراه غنيًا وهو مجهودُ

وللبخيل على أمواله عِللٌ زرقُ العُيونِ عليها أوجهٌ سودُ*

وقد عد مصطفى الشكعة شعر بشار في الهجاء سبة في جبين الفضيلة وحطة في وجه القيم الأخلاقية وإحدى النقاط السوداء في الشعر العربي[2].

[1] المرجع نفسه، ص 156- 158.

* العلل والتعللات في المعاذير: ولقد لخص الشاعر هذه العلل فجعلها كالأشرار من ذوي الوجوه السود والعيون الزرقاء. وقد كان العرب يكرهون العيون الزرق ويستبشعونها، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص 156.

[2] المرجع نفسه، ص 158.

نخلص مما سبق أن العوامل التي أسهمت في تمرد بشار بن برد كانت خلقية وأسرية وإجتماعية وثقافية وسياسية.

- وكان منحاز إلى مبدأين في حياته.
- إيمانه بحقه في الحياة وفق ما يحب.
- إيمانه بقدراته الفنية من خلال تجويده في شعره.
- كما كان مخلطا في العقيدة غير آبه للعقيدة الإسلامية وانحرافه في سلوكه وشعره الماجن في الغزل اللاذع.
- كما كان يسعى إلى مطلبين مركزيين في حياته وفنه الشعري وهو رغبته في الخلود بالفن الشعري.

وكان سخطه الشديد على منتقديه سر خلود فنه الشعر من خلال الكتابة عنه والاستشهاد بأشعاره ....

الفصل الثاني

الإتجاه النواسي والتمرد في الشعر العباسي

ظاهرة المجون في العصر العباسي:

شهد العصر العباسي في القرن (الثاني والثالث والرابع) للهجرة ظاهرة التمرد في الشعر العربي، لدى طائفة من الشعراء العباسين، الذين رصدهم الثعالبي ت 439هـ في كتابه اليتيمة، وابن المعتز. ت 269هـ في طبقاته، وأبو فرج الأصفهاني. ت 365 في أغانيه.

– إختار الكاتب نصين دالين على شيوع ظاهرة المجون وتأثيرها على الشعر والشعراء في هذه القرون الثلاثة.

– **النص الأول:** يصف عبث الأمين الذي قتل سمة 297هـ.

– **النص الثاني:** يصور الوزير الملهبي ومجموعة من زملائه القضاة[1].

– يقول ابن المعتز في طبقاته "بني للمخلوع. الأمين. مجلس لم تر العرب والعجم مثله ... ولما فرغ من جميع أسبابه، وخلاف ذلك، اختاروا) له يومًا وتقدم بأمر القدماء والشعراء بالحضور ... وكان فيمن حضر أبو نواس ... ثم أقبل عليهم فقال إني أحببت أن أفرغ متعته هذا المجلس معكم، وأصطبح فيه بكم ... ثم لما طعموا آتي بشراب كالزعفران ... وقام سقاة كالبدور بكؤوس كالنجوم فطافوا عليهم ... فشربوا معه من صدر نهاره إلى آخره. فلما كان آخر النهار، دعا بعشر آلاف دينار في صواني فأمر فنثرت عليهم، فاتهبوها ... فصبروا معه إلى أن سكر قتام ..."[2] ويختم ابن المعتز وصفه لهذا المجلس العابث بأبيات أنشدها أبو نواس:

نبه نديمَك قد نعِسْ يسقيك كأسًا في العلس

صرفًا كأن شعاعها في كف شاربها قبس

– وفي النص الثاني يورده الثعالبي وهو يصف حال الوزير الملهي في القرن الرابع الهجري: يقول: يحكي أنه القاضي التنوخي كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلّبي ويجتمعون عنده في

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 52.

[2] ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط 3، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1976، ص 209-210.

الأسبوع ليلتين على إطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة ... وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ... ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من ألف مثقال ... مملوءًا شرابًا قرطبليًا أو عكبريًا فيغمس لحيته فيه حتى تتشرب أكثره ويرش بها بعضهم بعض ويرقصون ... وإياهم عنى السري. الرفاء بقوله:

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشو في مخانق البُرَم

وصاحبٌ يخلط المجون لنا بشيمه من الشّيم

تخصّبُ بالراح شيبهُ عَبثًا أناملٌ مثلُ حمرة الغنم

... فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في إلتزام التوقر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبار[1].

فهذان النصان يقدمان وثيقة إجتماعية وحضارية تصور ما كان يحدث في العصر العباسي من ألوان البذخ والعبث، عند بعض أرباب السلطة السياسية والقضائية وتأثيرها على الشعراء الذين كانوا يرتادون هذه المجالس طلبًا للمتعة.

– كما يكشف النصان عن تظاهر بعض الخلفاء والوزراء في مجالسهم بالتدين أمام الرعبة، ولكن الشعراء كانوا يرصدون ويكشفون عن زيفهم.

– كما يسهم النصان في رصد أسباب شيوع ظاهرة المجون. وهذا ما يكاد يتفق عليه الدارسون، فالتمازج الثقافي والعرقي وتعدد الديانات والعقائد وكثرة الملل والنحل والحانات[2] والأديرة أتاحت لهم سبل العبث والمجون بالابتعاد عن أعين الرقباء والسلطة السياسية والدينية[3].

---

[1] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت 429/ 1037م) يتيمة الدهر تحقيق، مفيد محمد قميحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 1979، ج 2، ص 394.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 54، 55.

[3] أنظر ذلك مثلا: الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 377/ 1987) الديارات، تحقيق كوركيس عواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1966 نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 65.

– ويرى الكاتب أن للشّعوبية والزندقة أثرًا في انتشار ظاهرة المجون والعبث وهذا التيار من العبث والمجون انخرط فيه عدد من شعراء العرب منهم آدم بن عبد العزيز، ووالبة بن الحباب الأسدي، وعلي بن جهم، وابن المعتز العباسي الرقشي[1].

– أما شوقي ضيف فيرى أن المجتمع العباسي ورث كل ما كان في المجتمع الساساني من أدوات لهو ومجون، وساعد على ذلك ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة، فقد مضوا يعبون الخمر عبًا ويحتسون كؤوسها حتى الثمالة ... وكان من أسباب انتشارها وإقبال الناس عليها أن أدى اجتهاد بعض فقهاء العراق إلى تحليل بعض الأنبذة ... فشربها الخلفاء وشربها الناس[2].

وعلى هذا النحو كانت قصور الخلافة في عصور كثيرة من الخلفاء كأنها مقاصف للشراب والسماع والغناء وبالمثل كانت قصور وكبار أصحاب المناصب في الدولة وعلية القوم[3].

ويمثل الكاتب على انخراط شعراء عرب أقحاح في هذا الاتجاه في قول آدم بن عبد العزيز في إحدى قصائده بالدعوة إلى شرب الخمر والمجاهرة بالمعصية ناعتًا من يلومه أنه ابن زانية[4].

استعني يا معاويةُ سبعة أو ثمانية

أسقيتها وعمتني قبل أخذ الزبانية

ثم من لا منا عليها فذاك ابن زانية

وأما والبة بن الحباب الأسدي فأخبار عبثه ومجونه موجودة في كتب الدب يقول أبو فرج الأصفهاني في الأغاني عنه إنه أستاذ أبي نواس، وكان يمزج شعره العربي بالفرس ولغتهم يقول في ذلك[5]

قد قابلنا الكؤوس ودابرتنا النحوس

[1] ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 55.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 65.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1973، ص 92.

[4] طبقات الشعراء، ابن معتز، ص 87.

[5] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ج 15، ص 286.

واليوم هرمز روز قد عظمته المجوس

ونحن عند عميد قد غاب عنا البسوس

نغير كأسًا وكأسًا أوصى بها جالينوس

ويبرز ملمح التمرد في هذه الأبيات عبر النقاط التالية هي:

- التمرد على القيم الاجتماعية والمسلمات الدينية.
- الإستهزاء بالحياة العربية ورموزها (البسوس).
- توظيفه لرموز من الحضارتين الفارسية واليونانية هرمز وجالينوس.
- أما علي إبن أبي جهم وبعد خروجه من سجن المتوكل عاشر جماعة من الفتيان ببغداد كانوا يقيمون بمنزل مقين بكرخ يقال له المفضل[1] فقال فيه علي بن جهنم:

نزلنا بباب كرخ أطيب المنازل على محسنات من قيان المفضل

أوانس ما للضيف منهن حشمة ولا ربهن بالجليل المبجل

لك البيت ما دامت هداياك جمة وكنت ملبًا بالنبذ المعسل

سقى الله باب الكرخ من منتزه إلى قصر ومناخ فبركة زلزل

فهذا النص يرصد مظاهر العبث المتمردة على القيم والأعراف الاجتماعية وكل ما فيه مخل بالحياء، وهو شاعر من أهل السنة وقد حارب الشيعة والمعنزلة وأهل الذمة جميعًا حتى أن المؤلف وصفه بصاحب نزعة وجودية أبيقورية[2].

[1] أنظر أخبار علي بن جهم، الأغاني 10: 203 ومقدمة ديوانه بتحقيق خليل مردمربك، ط 2، بيروت، وعبد الرحمان باشا: علي بن جهم حياته وشعره، دار المعارف، بمصر، د ت: نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 59.

[2] ديوان ابن المعتز، شرحه مجيد طراد، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1995، ج 2، ص 221.

– وأما ابن المعتز، فأشعاره في المجون كثيرة يقول في إحداها مصورًا صراعه بين التقوى والعبث فيقول:

ويقول في قصيدة أخرى إنه، يشرب الخمر في أحد الأديرة. ويفتتح قصيدته بالدعوة إلى نبذ المقدمة الطلية والبكاء على الراحلين وإظهار إعجابه بالأديرة ورغباته في العبث[1].

لا ثبك للظاعنين والعيس ومنزل ظل غير مأنوس

واشرب عقارًا قد عنقت حقبا في خزفي بالوشم محروس

والنجم قد لج في الغروب وقد أنذر بالصبح قرع ناقوس

وضح في الدير كل مبتهل مشيع ليله بتقديس

* وإضافة إلى النماذج التي قدمها الكاتب؛ نجد مصطفى الشكعة يرى أن الشعراء كانوا يلتفون في الأماكن العامة ثم يحاول كل منهم أن يستأثر مجموعة في بيته أو بستانه حيث يخلعون العذار ويعاقرون من ضروب الشراب ويمارسون من أسباب الانحراف ما شاءت لهم طبيعتهم أن يمارسوا ... وبلغ تمادي القوم المجان في عبثهم إلى المدى الذي جعلهم يتخذون من المساجد مكانًا لمجونهم وانحرافهم[2].

يذكر أبو نواس أبياتاً يصور فيها شيئًا من ذلك في قوله[3]:

لنا بالبصرة البيضاء ألاق وإخوان

بهاليل، مساميح لهم فضل وإحسان

كأن المسجد الجامع عند الليل بستان

[1] المرجع السابق، ص 219.

[2] الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة ص 183، 184، 185.

[3] ديوان أبي نواس، تحقيق عبد المجيد الغزالي، ط، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، ص 711.

ومن مظاهر الانحلال الواضحة ذات الأثر السيء في المجتمع العباسي بيوت القيان والحانات التي كانت منتشرة في الكوفة والبصرة وبغداد وبلاد متفرقة في المنطقة الفارفسية من الأرض العباسية.

إن كتاب الأغاني مترع بذكر بيوت القيان التي تقدم الخمر والغناء وتيسر لمرتديها الكثير من أسباب الفساد والانحلال وتهيئ لهم كل ما يمكن أن يحصل عليه متمرد على القيم الاجتماعية خارج المبادئ الخلقية في بحر الفساد ...[1]

– كما رافق هذه الظاهرة العابثة تيار دهري* لا يؤمن بعبث ونثور ومن أشهر شعراء هذا التيار أبو الهندي، أبو نواس وأبو هفان[2].

ومن شعر أبي الهندي الذي تمرد فيه على القيم الدينية قوله[3]:

إنما العيش فتاة غادة وقعودي عاكفًا في بيت خان

اشرب الخمر وأعصي من نهى عن طلاب الخمر والبيض والحسان

في حياتي لذةٌ ألهو بها فإذا مت فقد أودَى زماني

– يلاحظ الكاتب من خلال هذه الأبيات أنها تجسيد وتصوير لواقع العابثين واحوالهم.

– ومن الشعراء الذين تمردوا أيضا على القيم الفنية للقصيدة العربية الشاعر عبد الله بن أمية الذي يكاد يستعمل منهج أبي نواس في سخريته من المقدمة الطللية يقول[4]:

---

[1] المرجع السابق، ص 187، 188.

* **الدهرية**: هم الذين ينكرون اليوم الأخر وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب www.almaany.com

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة ص 62.

[3] طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص 138.

[4] ذكر ابن المعتز أنه يكنى بأبي حشيشة، وأنه من أهل بيت كلهم شاعر، وقال ابن الجراح "بنو أمية شعراء محسنون" ابن الجراح أبو عبد الله بن داود (ت 296هـ/ 1908م). الورقة، تحقيق عبد الوهاب عزام، وعبد الستار أحمد قراج، دار المعارف مصر 1953، ص 50– 51 والأبيات في طبقات ابن المعتز ص 322– 323. نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة ص 64.

دع دراسات الطلول وكل ربع محيل

ولا تصف دار سلمى ذرها لكل جهول

وأصبح أشعار هؤلاء الشعراء في تيار المجون اتجاهًا بديلًا للاتجاه الفني التقليدي الموروث، وليس بالضرورة تعبيرًا عن سلوكاتهم.

وإن كان هذا صحيحًا عند طوائف من الشعراء في التمرد على القيود الفنية والإجتماعية والسلطة السياسية والدينية. فهو أيضا صحيح في تجاوز بعض الشعراء في الإسراف في طلب المتعة وشرب الخمير مثل القرشي.

– يقول ابن المعتز عنه وعن قصيدته التي ورد مطلعها فقط والتي قال عنها:

"إنه يأمر فيها باللواط وشرب الخمر والقمار والهراش بين الديكة والكلاب وهو يزعم ... أنها تدخر لوقت الموت مجونًا وخلاعة" وأولها[1]:

أوصى الرقاشي إلى خلانه وصية المحمود في إخوانه

أبو نواس والتمرد على السلطة:

العيد أبو نواس أحد أبرز الشعراء الذين تمردوا على السلطة في القرن الثاني الهجري ومن أشكال تمرده على السلطة أربعة التمرد على السلطة الدينية والإجتماعية والتمرد على القيم الفنية ونمطية القصيدة العربية التقليدية والتمرد على السلطة السياسية[2].

– ويصفه مصطفى الشكعة بأنه من أشهر شخصيات الفترة العباسية الباكرة لما أحاط بها من أطوار أخبار وقصص. وهو الحسن بن هانئ بن الصباح مولى الجراح الحكمي وكنية أبو علي وشهرته أبو نواس[3]، وهو فارسي الأم والأب أيضًا، اختلف الرواة في السنة التي ولد فيها والراجح أنها سنة مائة وتسع وثلاثين للهجرة، وقد اختلف الرواة أيضًا في تاريخ وفاته فمنهم من تقدم بها إلى سنة 195هـ

[1] طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص 226.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة ص 67.

[3] مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص 171، 172.

ومنهم من تأخر به إلى سنة 199هـ، وقيل بل توفي بعد المائتين بقليل وفي ديوانه رثاء للأمين يشهد بأن وفاته لن تكن قبل سنة 198هـ[1].

– نشأ أبو نواس في البصرة وتردد على الكتاب صغيرًا، ثم ألحقته أمه بدكان عطار كان يبري فيه أعواد البخور نهارًا ويتردد على حلقات الدرس في المساجد مساءً. وكان طموحا إلى العلم والأدب، والبصرة آنذاك عاصمة الأدب واللغة وعلوم الدين[2].

كان يستمع من أبي عبيدة أخبار العرب وأيامهم، ويلتقط من أبي زيد غرائب اللغة ومن خلف الأحمر نوادر الشعر[3].

– وقبل التفصيل في تمرد أبي نواس يطرح الكاتب مجموعة من الأسئلة حول شعر أبي نواس وهي:

1. هل كان أبو نواس يمارس المجون والتعهر في حياته كما يظهر ذلك في شعره؟ وهل كان ما يصدر عنه من شعر ماجن يقود بالضرورة إلى تصنيفه في قائمة الدهريين الذين لا يؤمنون ببعث ونشور ولا بحساب وعقاب[4]؟ كما يتضح ذلك في قوله[5]:

أأترك لذة الصهباء نقدًا بما وعدوه من لبنٍ وخمر

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عَمْرو

وفي شعر أخر يقر بأنه يقترف ذنبًا وسيعاقب عليه بحد الجلد ثمانين جلدة غير أن مغريات الخمر جعلته يستهين بهذه العقوبة التي حددها نبينا[6].

بكيت وما أبكي على دمن فقر وما بي من عشقٍ فأبكي من الهَجْر

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ص 220، 221، 226.

[2] المرجع السابق، ص 27.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ص 221.

[4] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 67.

[5] الشعر والشعراء، ج 2، ص 291، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 90 نقلا عن قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 68.

[6] ديوان أبي نواس، ص 36.

ولكن حديث جاءنا عن نبينا فذاك الذي أجرى دموعي على

بتحريم شرب الخمر والنهي جاءنا فلما نهى عنها بكيتِ على الخمر

فأشربها صرفًا وأعلم أنّني أعزز فيها بالثمانين في ظهري

– يرى الكاتب من خلال أشعار أبي نواس تأرجحه بين الكفر والإيمان الذي يكشف عن ضعفه وشكوكه في المعتقدات الدينية مما دفع العديد من الدارسين إلى الحكم عليه بالزندقة* لا زندقة اعتقادية بل كانت زندقته ضربًا من التطرف ومجانة سلوك وحالهُ حال الشبان المتمردين الذين يحبون الظهور[1] في قول أحدهم[2].

تزندق معلنا ليقول قومٌ إذا كروه زنديق ظريف

فقد بقي فيه التزندق فيه وسمًا وما قيل الظريف ولا اللطيف

وقول أبي نواس نفسه[3]:

أتتبع الظرفاء أكتب عنهم كيما أحدث من أحب فيضحكا

– ويؤيده في هذا التوجيه شوقي ضيف من خلال قوله أن أبا نواس لم يكن يعتنق الزندقة إنما كان يعتنق المجون، ويتعبد لملاذ الحضارة التي عاشها. فصاح بالدين الحنيف كأنه يرى فيه عائقا عن خمره

* **الزندقة:** عبارة عن مصطلح عام يطلق على حالات عديدة أطلقت أول مرة من قبل المسلمين لوصف أتباع الديانات المانوية أو الوثنية أو الدجالين ومدعو النبوة ... ولكن بدأ المصطلح يطلق تدريجيًا على الملحدين وأصحاب البدع ويطلق بعضهم على كل من يحيا ما اعتبره المسلمون حياة المجون من الشعراء والكتاب واستعمل البعض تسمية زنديق لكل من خالف مبادئ الإسلام الأساسية.

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 69.

[2] أحمد أمين، ضحى الإسلام، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1935، ج 1، ص 149.

[3] الحصري القيرواني، ذيل زهر الأداب، ص 22. نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 69.

وبجونه وإثمه وهو من هذه الناحية مضطرب أشد الإضطراب تارة يعلن دهريته وأنه لا يؤمن ببعث ولا نشور وتارة يعلن أنه مؤمن عاص[1].

– ويرى يوسف عطا الطريفي: "أن أبا نواس اتهم بالزندقة لأنه كان قليل الاحتفال بما شرع في الدين من عبادات[2].

– فضيقه بالقيود والاضطهاد الذي كان يعيشه هو الذي ولد فيه روح التمرد وخاصة بعد رحيله من البصرة إلى بغداد وإحساسه بكيانه الذي كان يطمح إليه في مجتمعه فيقول[3]:

أيا من كنت بالبصرة أضفي لهم الودا

ومن كانو حوالي ومن كنت لهم عبدًا

شربنا من ماء بغداد فأنساناكم حدا

فلا ترعو لنا عهدًا فما نرعى لكم عهدا

ولا تشكو لنا فقد فما نشكو لكم فقدًا

ويرى شوقي ضيف أن أبا نواس جذبته بغداد وفارق موطنه إلى غير رجعة لا باكيا عليه ولا أسفا لأن حياته فيه كانت سلسلة من الإخفاقات وكان يشعر أنه سليب الحرية[4].

– سجن أبو نواس في عهد الخليفة الرشيد ولم تتجاوز عقوبته حد الإعتقال لأنه لم ير في أقواله ما يدل على زندقته فظل في سجن الرشيد حتى أخرجه ابنه الأمين[5].

---

[1] شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 226، 227.

[2] يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر العباسي، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص 261.

[3] ديوان أبي نواس، ص 547، وأنظر: محمد زكي العشماوي، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 185: نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 69.

[4] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 224.

[5] أنظر: حاشية ديوان أبي نواس، ص 218. 219. نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 71.

– ويذهب حنا الفاخوري إلى أن حرية الشاعر المتطرفة وإغراقه في الخمر والمجون والزندقة. وذهبت به الجرأة إلى هوج قبائل عدنان والإفحاش. فاضطر الخليفة الرشيد إلى سجنه مدة طويلة قد تكون بلغت أربعة أشهر فضاق صدر الشاهر في السجن ... فأرسل عدة قصائد إلى الخليفة يستمد العفو[1].

– وفي خبر أخر نجد شوقي ضيف يقول إن الرشيد حبس أبا نواس مررًا بسبب فجوره، ولكنه كان سرعان ما يعود إلى سيرته السيئة حين ترد إليه حريته، وقد غضب عليه غضبًا شديدًا حين رآه يهجو عدنان ويفتخر بقحطان ومواليه باليمن فأطال حبسه[2].

– وفي أخبار أخرى ما يدل على أن الأمين حبس أبا نواس لإستهانته بالأعراف والمعتقدات الدينية، ليظهر حرصه على الإسلام. مما يبين خطورة ودور الشعر على السلطة السياسية، وفي أبيات قالها أبو نواس يستعطف فيها الأمين ليطلق صراحه[3]:

تذكر أمين الله والعهد يذكر مقامي وإنشاديك والناس حضر

مضت لي شهور مذحبست ثلاثة كأني قد أذنبت ما ليس يغفر

فإن كنت لم أذنب فبفيم حستني وإن كنت ذا ذنب فعفوك أكبر

– يرى الكاتب أبا نواس شاعر يسعى إلى الحرية والإستمتاع بملذات الحياة ونجد ذلك في شعره من خلال تكرار لفظي العزل واللوم مثل قول "دع عنك لومي ص 6 أعاذل إن اللوم منك وجيع ص 7 ... إلخ والواضح من هذا التكرار ضيق الشاعر من القيود التي فرضتها السلطة عليهم ورغبته في التحرر منها، من خلال شعره والتمرد على السلطة السياسية والدينية والقيم الفنية للقصيدة العربية[4].

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 397.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 224.

[3] أنظر العشماوي، موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي 187، 188 نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 71.

[4] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 72. 73.

يقول في أبيات مبرءًا نفسه من شرب الخمر وأنه يكتفي بمجالسة ندمائها فقط[1]:

أيها الرائحان باللوم لومًا لا أذوق المدام إلا شميمًا

نالني بالملامح فيها إمام لا أرى لي خليفة مستقيما

فاسرفها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديمًا

ويقول في أخرى معلنا خضوعه لنواهي أمير المؤمنين[2]

أعاذل بعت الجهل حيث يباع وأبرزت رأسي ما عليه قناع

نهاني أمير المؤمنين عن الصبا وأمر أمير المؤمنين مطاع

ولهو لتأنيب الإمام تركته وفيه للاه منظره وسماع

– فالإشارة إلى نواهي أمير المؤمنين يعد ضربًا من الاحتيال لإرضاء غرور السلطة ففي مثل هذه القصائد يسعى الشاعر إلى إمتاع المتكلفين خاصة السلطة[3].

وذلك من تبيان قدراته الفنية في القصيدة التالية يشير فيها إلى تعلقه بالخمر في زمن انقضى كانقضاء الأطلال[4].

غننا بالطلول كيف بلينا واستقنا تعطيك الثناء الثمينا

من سلاف كأنها كل شيء يتمنى نخير أن يكون

أكل الدهر ما تجسم منها وتبقا لبابها المكنونا

[1] ديوان أبي نواس، ص 29.

[2] المصدر نفسه، ص 12.

[3] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 75.

[4] ديوان أبي نواس ص 30.

– فعبث أبي نواس ومجونه كان سعيا إلى التجديد والتمرد على الذوق التقليدي الشائع والمبتذل في أنماط القصيدة وهذا ما أورده حمزة الأصفهاني فيما قاله أبو نواس: يأمير المؤمنين إن الشعراء الملوك قبلي شبو بالمدر والحجر والشتاء والبقر، والصوف والوبر. فغلطت طباعهم واستغلفت معانيهم ولا بصر لهم بامتداح خلفائنا. فإن أرى أمير المؤمنين أن يأذن لي في الإنشاد فأنشده[1]:

ألا دارها بالماء حتى تلينها فلن تكرمَ الصهباء حتى تهينها

– فحب أبي نواس للحياة والتحرر من القيود التي تقيد حريته هو دعوته لأهل عصره إلى الإستمتاع بما تتيحه لهم هذه البيئة الجديدة. وفي قصيدة له يوازي بين مشعلي الحروب ودعاة السلام[2] يقول في سخرية مدهشة[3].

يا بشر مالي والسيف والحرب وإن نجمي للهو والطرب

فلا تثق بي فإنني رجل ألغُ عند اللقاء والطلب

وإن رأيت الشراة قد طلعوا ألجمت مهري من جانب الذنب

– يلحظ الكاتب إتجاه كثير من الشعراء إلى حياة اللهو والمجون والإبتعاد عن حياة الحروب مستشهدًا بأبيات قالها الرقاشي ساخرا من دعاة الجد والحرب[4] قال[5]:

جنبني الدرع قد طال عن القصف جمامي

وأكسري البيضة والمطرد وأبدي بالحسام

[1] ديوان أبي نواس، طبعة فاغنر: ص 120. نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 77.

[2] ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 77.

[3] ديوان أبي نواس، تحقيق عبد المجيد الغزالي، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت د ت، ص 212.

[4] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 79.

[5] ابن المعتز. طبقات الشعراء، ص 227.

وأقذفي في لجة البحر بقوسي وسهامي

يستنتج من خلالها أن الناس نوعان دعاة سلام ودعاة حرب ويعد الرقاشي وأبو نواس من أنصار الفريق الأول[1].

– يذهب الكاتب إلى أن تمرد أبي نواس على السلطة السياسية وعجزه على انتقادها دفعه إلى التمرد على القيم الدينية والإجتماعية والفنية من خلال نقده للقيم الفنية الشعرية والتقليل من شأنها واعتبرها وسيلة يعتمد عليها في رفضه لمواقف السلطة واستغلال طاقات المبدعين[2].

– ويؤيده في هذا التوجيه ابن المعتز في طبقاته عن أبي نواس: (كان يهرب من الخلفاء والملوك بجهده ويلام على ذلك فيقول إنما يصبر على مجالسة هؤلاء الفعول المنقطعون الذين لا ينبعثون ولا ينطقون إلا بأمرهم والله لكأني على النار إذا دخلت عليهم حتى أنصرف إلى إخواني ومن أشار به. ولأني إذا كنت عندهم فلا أملك من أمري شيئًا[3].

– فسخط أبو نواس على السلطة بما تظهره من سلاح وتدين أمام الرعية في حين كانوا يمارسون اللهو والمجون في قصورهم فيقول في هذا الصدد[4].

غدوت على اللذات منهتك الستر وأفضت بنات السر مني إلى الجهر

وهان علي الناس فيما أريده بما جئت فاستغنيت عن طلب "

– فهو يدين هذا المجتمع بالزيف والنفاق وأنهم يفتقدون إلى الجرأة التي كان هو يقدسها[5]:

هذه الخمر جهارًا فاشرينها لا سرارً

[1] المصدر السابق ص 80.

[2] المصدر نفسه ص 80.

[3] ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 202.

[4] ديوان أبي نواس ص 139.

[5] أحلام الزعيم، أبو نواس بين البعث والإعتراب والتمرد، دار العودة، بيروت، 1981 ص 129، نقلا عن: ينظر: قراءات في في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 81.

– إضافة إلى إعتراضه على الذين كان يرفضون تعاطي الخمر خوفًا من العقاب وعدم خضوعه لإرادة السلطة في هجر الخمر[1].

أشرب. فديت. علافية أم التستر زانيه

ودع التستر والرياء فما هما من شائيه

– مما دفعه إلى التمرد على القيم الفنية للقصيدة العربية بالسخرية على الذين لا يزالون يقفون على الأطلال في عصره ويبكون عليها[2].

وفي إعلان صريح في قطعة مشهوره له خضوع الشاعر لأوامر السلطة تلبية لرغبة مادحيه على الطلل مسايرة لرغبات الخليفة وهو كاره[3]

أعِرْ شعرك للأطلال والمنزلَ القفرَا فقد طال ما أزرى به نعتك الخمرا

دعاني إلى نعت الطلول مسلطٌ تضيق ذرامي أن أجوز له أمرًا

قسمها أمير المؤمنين وطاعة وإن كنت قد جشمتني مركبًا وعرًا

يلحظ الكاتب من خلال هذه الأبيات خضوع الشاعر لأمير المؤمنين في أشعاره عن الأطلال فهو لم يخالف طبعه وكان يعبر عما يريد هو لا عما تريده السلطة ويكشف عن ضيقه الشديد من أمير المؤمنين ورغباته من خلال قوله **قد جشمتني مركبًا وعرًا** ومن هنا يعيد ويدعو إلى هجر الأطلال وما يتصل بها بمظاهر الحياة البدوية الجافة التي كانت ربة شعرهم أما أبو نواس كانت ربة شعره هو الخمر[4].

[1] ديوان أبي نواس ،ص 136.

[2] ينظر: ينظر: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ياسين عايش خليل، ص 82.

[3] ديوان أبي نواس ص 211.

[4] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 83 – 84.

يقول[1]:

عج للوقوف على راح وريحان فما الوقوف على الأطلال من شافي

لا تبكين على رسم ولا طلب وأقصد عقار كعين الديك ندماني

سلاف إذا ما الماء خالطها فاحت كما فاح تفاح بالنبان

– ويذهب شوقي ضيف إلى أن شخصية أبي نواس تنمو في إتجاهين إتجاه يحافظ فيه على التقاليد الموضوعة دون أن يشتط في التجديد وإتجاه يحدد فيه معانيه وألفاظه ويمكن أن يسلك في الإتجاه الأول مدائحه وأراجيزه ومراثيه. بينما يسلك في افتجاه الثاني أهاجيه وغزلياته وخمرياته وكل ما يتصل بعبثه ولهوه أما المديح فكان كثيرًا ما يختلط به في مقدماته القديمة[2].

– ويرى أيضًا شوقي ضيف من شعوبية أبي نواس أنه تماجن وانه هو نفسه لم يرفض البكاء على أطلال البادية بل لقد بكاها كثيرًا[3].

أما مصطفى الشكعة فيرى أن أبا نواس جعل من شعوبيته مذهبًا وذلك عن طريق التعريف بكل واقف على رسم أوباك على دمنة منذ ذلك النيل من العرب محاولًا السخرية بهم والحط من شأنهم[4] فيقول:

لا تبك للذاهبين في الطعن ولا تقف بالمطي في الدمن

وعج بنا نصطبح معتقة من كف ظبي يسقيكها فطن

– ونجده يعد من يقف على الديار شقيا وهو بذلك هجوم حتى على النفسية العربية وميولها ومشاعرها، ثم بعد ذلك وفي القصيدة نفسها يتهجم على القبائل العربية، بني أسد وبني تميم وقيس

[1] المصدر السابق، ص 113.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ص 228.

[3] المرجع نفسه، ص 231.

[4] مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص 176. 177.

وسائر القبائل وتصريح هذا يدل على أنه لم يقصد الأعراب بل مختلف القبائل العربية وهذا هجوم شعوبي صريح على العرب جميعًا. فنجده يقول[1]:

عاج الشقي على دار بسائلها وعجبت أسأل عن خمارة البلد

قالو ذكرت ديار الحي من أسد لا دردرك قل لي من بنو أسد

ومن تميم ومن قيس وإخوتهم ليس الأعاريب عند الله من أحد

دع ذا عدمتك، واشربها معتقة صفراء تعْنق بين الماء والزبد

وفي قول آخر يسخر من أبناء عصره المحافظين على التقاليد الفنية الموروثة بالوقوف على الأطلال[2].

يقول[3]:

قل لمن يبكي على رسم درس واقفًا ما ضرلو كان جلس

أترك الربع وسلمى جانبًا واصطبح كرخية مثل القبس

ونجد أيضا عروة عمر يؤيد الكاتب من خلال قوله أن أبانوا النص حاول أن يتجاوز بفنه تقاليد القصيدة العربية والسخرية من العرب ويجعل من طلل الخمر تقليدًا فنيًا جديدًا يلزم به نفسه ليعارض به الطلل الشائع[4].

[1] فيصل حسين طحمير علي، التمرد في شعر العصر العباسي الأول، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا لمتطلبات الحصول على درجة دكتوراه في الدب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، العراق 2004، ص 114- 115.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص.

[3] ديوان أبي نواس ص 134.

[4] عروة عمر، الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 120- 125.

والواضح هو رفض أبي نواس وتمرده على القيم الفنية التقليدية التي بقي بعض شعراء عصره محافظين عليها وذلك للتدليل على أن هذا الشاعر رسخ في هذا الإتجاه الذي شاركه فيه شعراء أخرون[1] منهم مطيع ابن اياس[2] الذي يقول في تعبير مقارب من هذا الإتجاه النواسي.

لأحسن من بيد يحارُ بها الفطا ومن جبليْ طيْ ووصفكما سلعًا

تلاحظ عني عاشقين كلاهما له مقلة في وجه صاحبه ترْعن

– وقد اعترض شاعر يدعى الحكم بن قنبر المازني على أبي نواس حين وجده ينظم قصيدة بدأها بمقدمة طللية كان أبو نواس قد قال فيها[3]:

ألم تربع على الطلل الطماسِ عفاه كل أسْحم ذي إرتجاس*

فعارضه الحكم بقصيدة في مفتتحها[4].

دع الأطلال عنك أبا نواس عفاها كل أستحم ارتجاس

فما ذكراك من رسم محيل ومن نؤي ومن طللٍ طماس

– يرى الكاتب أن أبا نواس ليس وحده من تمرد على هذا الإتجاه التقليدي بل الكثير من شعراء عصره، والسخرية على من يحافظون عليه إذ يعد داعية إلى الصدق الفني وعدوًا للتقليد الذي يراه مظهر غباء وليس تعريضه بالبيئة الصحراوية وبيئتها نابعًا من شعوبية بل هو نابعٌ من قناعات فنية، والشاعر يمدح مما يعيش فيه[5] :

---

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 86.

[2] ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950، ج 13، ص 276.

[3] ديوان أبي نواس، ص 522، وأين منظور، أخبار أبي نواس ص 26، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 86..

* **الإرتجاس** :هو الرعد والأسحم أراد الغيم الأسود، نقلا عن قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 86.

[4]

[5] ابن منظور المنظور، أخبار أبي نواس ص 26، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 86.

أبخل على الدار بتكليم فما لديها رجع سليم

وألعنْ غراب فإنه داعيةُ الشُومِ

– وما خالط هذه الدعوة من إشادته بالفنون الفارسية المثيرة التي كانت تحفزه وتلهمه النظم الجميل والنعت غير مطروق[1].

تزوج الخمر من الماء في طسات تبر مرُّها يفهق

منطقات بتصاوير ولا تسمع للداعي ولا تنطق

* يستنتج الكاتب من خلال هذه الشواهد ميول أبي نواس إلى حياة اللهو والحضر والمسيرة بما فيها من بيئة عطرة والإبتعاد عن قسوة البيئة الصحراوية[2]. فيقول ناصحًا مشفقا في آن معًا[3].

أعدل عن الطلل المحبل وعن الهوى نعت الديار ووصف قدح الأزند

ودع العُرِيْبَ وخلها مع بؤسها لمَحارَق أَلِفِ الشقاء مزند

أبو نواس وعقيدة الإرجاء:

– كام أبو نواس يسخر من العرب وقساوة بيئتهم وكان يقصد من سخريته شعراء عصره الذين يحافظون على الإرث التقليدي ودعوتهم إلى التجديد فدعوت أبي نواس إلى حياة العبث والتي أشار إليها بعض الدارسين زندقة اعتقادية، وهذا إيمان بمبدأ من مبادئ المرجئة التي خالفها فيهم المعتزلة والخوارج[4] إذ يقولون: إن نرتكب الكبيرة مخلد في النار ولا يخرج منها أبدًا ... والمرجئة يرون أنه لا يخلد في النار إلا الكافر.

[1] ديوان أبي نواس ص 157.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص88.

[3] المصدر السابق ص 168.

[4] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص.

– ويستدل الكاتب على هذا الإعتقاد أبي نواس واضع في زهدياته أبي نواس واضع في خمرياته يقول في إحداها[1]:

ردا علي الكأس إنكما لا تدريان الكأس ما تجدي

خوفتماني الله ربكما وكخيفته رجاؤه عندي

* ومذهب الإرجاء في زهدياته نجده يقول في خشوع ورهبة وطمع برحمة الله[2].

لا بأعمالنا نطيق خلاصًا يوم تبدو السماء فوق الحياة

غير أني على الإساءة والتفريط راج لحسن عفو الله

– ويؤيده شوقي ضيف فعلى الرغم من جهره بعصيانه وفسقه يعتمد على عفو الله ومغفرته على نحو حواره للنظام في فكرة العفو التي قال بها المرجئة[3].

ويظهر ذلك من خلال أخر أبيات قالها في الزهد التي عثر عليها تحت وسادته[4]:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم

ما لي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مسلم

– ونجد أيضا حنا الفاخوري يؤيد ياسين عايش خليل في هذا الرأي من خلال قوله أن أبا نواس كان يتطلع إلى مستقبل الحياة وغايتها الأخيرة، فيرى ذلك الأفق الساحم الرهيب، أفق الموت الذي سينتهي إليه كل إنسان لا محالة ... فتتعقد معضلة الحياة في نظره إذ يضطر إلى إيجاد حل يوفق بين اللذة والدين فيستنبط من الدين حلًا هو الإيمان بعفو الله الواسع، والثقة المفرطة به، ثقة تحمله من خلاله على إتيان جميع المنكرات وأفحشها من غير خوف، فيرسل طبيعته على سجيتها، ويطلق لها

[1] أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط 7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2012، ج 3، ص 316.

[2] ديوان أبي نواس، ص 621.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 227.

[4] مصطفى الشكمة، الشعر والشعراء العباسين، ص 280– 281.

حرية الإنقياد وراء ميولها الحيوانية وهو هادئ السرب، يسخر ويستهزئ ولا يعبأ، ويوغل في السكر والإستهتار موقنًا أن الإيمان يكفي فيه على ما ذهب إليه المرجئة التصديق بالقلب وأن الله يغفر الكبائر بأجمعها إلا الكفر[1].

وفي قصيدة أخرى نجد أبا نواس يتحدى النظام وفلسفة المعتزلة يقول[2]:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

فقل لمن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

لا تحظر العفو إن كنت أمرا حرجًا فإن حظرته في الدين إزراء

– ويرجع الكاتب في نهاية الأمر إحساس أبي نواس بالغربة وإنفصاله عن مجتمعه بسبب تمرده وسخريته من كل شيء فرفضه للقصيدة القديمة وموضوعاتها هو مواكبته لحركة التطور في بيئته الجديدة[3].

ودعوته إلى التحرر من العصبية القبلية وسخطه على أهل عصره الذين مازالوا يتفاخرون بانتماءتهم القبلية يقول في قصيدة[4]:

قالو تنسك بعد الحج قلت لهم أرجو الإله وأخشى طيزانا باذا

أخشى قضيب كرم ينازعني فضل الخطام وإن أسرعت إغْذاد

فإن سلمت وما قبلي على ثقة من السلامة، لم أسلم ببغدادًا

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 401، 402.

[2] ديوان أبي نواس، ص 6.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 92.

[4] المصدر السابق ص 26.

ما شئت من بلدٍ تدنو منارهه لكن فيه فبيلات وأفخاذ

– فهذه النزعات القبلية هي التي أفسدت عليه متعة الحياة ببغداد وجعلته يفضل عليها غيرها عندما ذهب إلى البصرة التي لا يجد فيها مثل هذه النزعات والإرشادات فيقول:

وما أبعد النسك من قلب تقسمه قطر بل فقرى بني فكلوا ذا

قوم تواصو بترك البربنيتهم تقول ذا شرهم بل ذاك بل هذا

ليسوا كقوم إذا حاذيت مجلسهم أنقذت بالترك والإزكان إنفاذا

هناك لا تتخطى الأذن لائمة ولا ترى قائلًا من ذا ولماذا

– ولهد فأبو نواس كان يسعى إلى الحرية والتحرر من قيود السلطة الاجتماعية والقيم الفنية التي كانت تقيد المبدعين وتقلل من قدراتهم في الإبداع الفني ولولا تمردهم على هذه القيود لظلوا رهينة للسلطة وأصحاب النفوذ.

- يستنتج الكاتب مما سبق النقاط التالية:

- تأثر بعض الشعراء بحياة البذخ واللهو والمجون التي كان يعيشها أرباب السلطة في العصر العباسي.

- تظاهر بعض الخلفاء والوزراء بالتدين أمام الرعية.

- انخراط العديد من الخلفاء والوزراء والقضاة في تيار العبث والمجون وعدد من الشعراء منهم والبة ابن الحباب الأسدي. آدم بن عبد العزيز وعلي ابن جهم وابن المعتز كما رافق هذا التيار تيار دهري ومن أشهر شعراء هذا التيار: أبو نواس، أبو الهندي وأبو هفان.

- تحرر أبي نواس على أنماط السلطة: السياسية والدينية والإجتماعية والقيم الفنية للقصيدة العربية.

- تأرجح أبي نواس بين الكفر والإيمان والحكم عليه بالزندقة.

- ضيق أبي نواس من القيود والاضطهاد وسعيه إلى الحرية والاستمتاع بملذات الحياة.

- السعي إلى التجديد والتمرد على الذوق التقليدي في أنماط القصيدة العربية.

- تمرد أبي نواس على المقدمة الطللية.

- إيمان أبي نواس بمبدأ المرجئة.

الفصل الثالث

جدلية العلاقة بين الإبداع والسلطة في شعر الزهد

جدلية العلاقة بين الإبداع والسلطة في شعر الزهد

ظهر في العصر العباسي إتجاه معاكس لاتجاه العبث هو تيار الزهد والزهاد نتيجة لما كان يسود في المجتمع العباسي من حياة البذخ والفجور فكان الزاهدون يترصدون سلوكات العابثين وتوجيههم وتذكيرهم بالعذاب يوم الحشر[1].

فهناك من الشعراء العابثين الذين تحولوا إلى زهاد منهم أبو نواس وأبو العتاهية[2].

يترصد الكاتب أمثلة كيرة عن أصحاب الزهد وتصديهم للسلطة وعلى رأسهم شعر أبي العتاهية في العصر العباسي[3].

* يعرفه شوقي ضيف: هو إسماعيل بن القاسم. كان أبوه من موالي بني عنزة وكانت بنت زياد المحاربي أحد موالي بني زهرة، وقد ولد سنة 130 للهجرة في قرية عين التمر بالقرب من الأنبار غربي الكوفة[4]. نشأ أبو العتاهية في الكوفة وكانت مركزًا لتيار اللهو والمجون في المجتمع الإسلامي[5].

يطرح الكاتب تساؤلين هما:

الأول: هل كان الشعراء الزهاد يترجمون أقوالهم في أفعالهم؟

الثاني: ما سر تحول الكثير من شعراء العبث والمجون إلى شعراء زهد وزهادة؟

الإجابة عن السؤال الأول: ليس من الضروري أن يكون شعرهم نابعًا عن حياتهم فيمكن أن يعكس هم صاحبه أو هم مجتمعه سواء باطنًا أو ظاهرًا، فظاهرة الزهد في شعر أبي العتاهية تصور لنا تناقضا بين شعره الذي يظهر فيه ضجره من الدنيا وملذاتها وازدرائه لها وبين حياته الثرية وشحه

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 98.

[2] أنظر في تراجم هؤلاء الزهاد: السلمي، طبقات الصوفية، وابن الجوزي: صفحة الصفوة والشعراني، الطبقات الكبرى، وهامش ديوان عبد الله بن مبارك، ص 14، 15، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 98.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 99.

[4] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط 11، دار المعارف، القاهرة، 1960، ص 164.

[5] محمد مصطفى هدارة، إتجاهات الشعر العربي القديم في القرن الثاني هجرة، د. ط، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 292.

الشديد على نفسه وأهل بيته، ورد ذلك في كتاب التراجم كابن قتيبة في الشعر والشعراء وابن المعتز في طبقاته...[1]

والإجابة عن السؤال الثاني: هي أن الظروف الثقافية والإجتماعية والسياسية التي ولدت ظاهرة المجون هي نفسها التي ولدت ظاهرة الزهد، ففي الوقت الذي كان فيه أناس يفخرون بقبائلهم وأنسابهم. كان هناك من الزهاد من يتصدون لهم[2].

– يقول أبو العتاهية:

دعني من ذكر أب وجد ونسب يعليك سُوْرَ المجْدِ

ما الفخر إلا في التُقى والزهد وطاعة تعطي جنان الخلد

ويقول في قصيدة أخرى متخذًا من القبور دليلاً على تماثل البشر في المآل ويعرضوا عن الإغترار بالجاه والشباب والمال[3]:

ولقد مررت على القبور فما ميزت بين العبد والمولى

يا بني الدار المُجْدِّ ماذا عملت لدارك الأخرى

– أصبح البدين عند بعض الشعراء الموالي مخلصًا لهم من التفاخر بالأنساب وكان لهذا الشاعر في شعرهم بعض الاعتداد بأنسابهم من الشعراء الشعوبيين وفي رأي الكاتب أن هذا الاعتداد مقبول ما دام الشاعر يلمح فيه إلى بيئة ولا يصرح في ازدهائه أو اعتداده بنسبه ومن بين هذه الأمثلة من الاعتداد بالأصول الفارسية غير مشبعة بالنزعة الشعوبية، ما نجده في شعر أبي يعقوب العريمي الذي يسوي بين الجناس وأن نهايتهم جميعًا الموت.[4]

[1] أنظر: ترجمة حياة أبي العتاهية، الشعر والشعراء 2، 791، طبقات الشعراء، ص 227.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 101.

[3] ديوان أبي العتاهية، ص 7، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 101.

[4] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 102، 103.

يقول في هذا المعنى[1]:

أبا الصُغْدِ بأس إذ تعيرني جُمْل سفاها ومن أخلاق جارتي الجهل

فإن تفخري يا جُمل أو تتجملي فلا فخر إلا فوقه الدين والعقل

أرى الناس شرعًا في الحياة ولا يرى لقبر على قبر علاء ولا فضل

يرى أبو العتاهية أن العديد ممن حوله كانوا غارقين في متع الدنيا وجمع الأموال لورثتهم، فكان يتصدى لهم ويذكرهم بالموت والعذاب وأن كل من على الدنيا فانٍ فيقول[2]:

أيفرح الناس بالدنيا وقد عملو أن المنازل في لذاتها قلعُ

من كان مغتطا فيها بمنزلة فإنه لسواها سوف ينتجع

يا جامع المال في الدنيا لوارثه هل أنيه بالمال بعد الموت تنتفع

وفي قصيدة أخرى يزدري الناس الذين كانوا منشغلين بتشييد القصور والدور يقول[3]:

فيا عَجَبًا تمت وأنت تبني وتتخذ المصانع والقبابا

ألم تر أن غدوة كل يوم تزيدك من منيتك اقترابًا

– يرى الكاتب أ شعراء الزهد تحولوا إلى رقباء سلوك في مجتمعهم من خلال أسلوب الخطاب المستعمل في قصائدهم. وفي خطاب مباشر وجهه أبو العتاهية إلى السلطة وإلى الشعراء الذين كانوا

[1] الشعر والشعراء 2/ 735، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 103.

[2] ديوان أبي العتاهية، ص 134، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 104.

[3] المرجع نفسه، ص 16: نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 104.

يتقربون من الملوك التكسب أن يحذروا وأن يستغنوا بالله عن الوقوف على أبوابهم لمذلة لأنهم أصحاب أمزجة متقلبة[1].

يقول[2]:

إن الملوك بلاء حيثما حلوا فلا يكن لك في أكفاتهم ظل

ماذا ترى ترجي من قوم إن هم جاروا عليك وإن أرضيتهم ملّوا

وفي مقايسة أقامها عبد الله بن مبارك في دعوته للشعراء إلى نبذ عادة الوقوف على أبواب الخلفاء. حين يقول لهم[3]:

أرى أناسًا بأدنى الدين قد قفعوا ولا أراهم رضو بالعيش بالدون

فاستغن بالدين عن الدنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

– كما تجرأ بعض شعراء الزهد على انتقاد الخلفاء وأصحاب السلطة في قولهم إن سلطانهم لا يدوم ولا شيء ينجيهم من الموت، يروي في هذا السياق أن عمرًا بن المغيرة الصيريفي الكوفي كان يدعى بهلولًا المجنون التقى بهارون الرشيد في طريقه إلى الحج. فقال بين يديه[4]:

هب أنك قد ملكت الأرض طُرّا ودان لك البلاد فكان ماذا

أليس غدًا مصيرك جوف ترْب وبحثو التُرْبَ هذا ثم هذا

فإطلاق لقب المجنون البهلول على هذا الشاعر وأقرانه كان ضربًا من الاحتيال لتحميهم من السلطة على ما يصدر من أقوال وانتقادات لهم[1].

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 104، 105.

[2] ديوان أبي العتاهية، ص 36، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 105.

[3] ديوان عبد الله بن المبارك، ص 69. نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 106.

[4] صفة الصفوة، ج 2، 290، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 107، 108.

كما يرى الكاتب أن أبا العتاهية كان ينتقل في قصيدته ببراعة بين ضمائر الغائب لغايات مقصُودة للتأثير فيهم وإقناعهم[2].

أولاً: استعمال أسلوب الخطاب المفرد: يا عاشق الدنيا... أحيلت دارًا لم تزل عن نفسها لك ناهية...

ثانيا: استخدم ضمير الغيبة المفرد: والدهر لا يبقى عليه الشامخات الراسية يا عاشق الدار ليست له بمؤاتية...

ثالثا: استخدام ضمير الغيبة الجمعي:

درجو فما أبقت صروف الدهر منهم باقية

ولقد عتوا زمنًا كأنهم السباع العادية

رابعا: استخدام ضمير المتكلم المفرد:

إني أرى الأسعار أسعار الرعية غاليه

وأرى المناسب نزرة وأرى الضرورة فاشيه

خامسا: استخدام ضمير المتكلمين الجمعي:

ألا نبيع محلة تقني بأخرى باقيه

نصبوا إلى دار الغرور ونحن نعلم ماهيه

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 108.

[2] المصدر نفسه، ص 110- 111.

أما مصطفى الشكعة فيرى أن أبا العتاهية كان يعمد في زهده ووعظ الناس إلى أسلوب الترغيب والترهيب في شعره وهو أسلوب متعارف في الوعظ يصل إلى قلب العالم والجاهل والخاص والعام على وجه سواء، مثال ذلك قوله[1]:

الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدارُ

الدار جنة خلد إن عملت بها يرضي الإله وإن قصرت فالنار

وفي مقام أخر يعمد أبو العتاهية إلى الترغيب في وعظه ويذكر يوم الحشر وما يتلوه من جنة تجري من تحتها الأنهار للصابرين مقتبسًا المعنى القرآني بل واللفظ القرآني أيضًا في قوله[2]:

لأذكر معاذك أفضل الذكر لا تنسب بو صبيحة الحشر

يوم الكرامة بلألى صبروا والخير عند عواقب الصبر

في كل ما تلتذ أنفسهم أنهارهم من تحتهم تجري

وبعد إنتهاء الشاعر من استعمال الضمائر والأساليب في قصيدته ينتقل إلى انتقاد الإمام الذي غفل عن رعيته اقتضى إحساس الشاعر بالمسئولية، أن يبلغ الإمام نصائحه حرصًا على الأمة والإمام وأصوله ومحبته له[3] يقول:

يا بن الخلائف لا فقدت ولا عدمْتَ العافيهْ

إن الأصول الطيبات لها فروع زاكيه

ألقيت أخبارًا إليك من الراعية شافيه

[1] مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص 220.

[2] المرجع نفسه، ص 222.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 110- 111.

ونصيحة لك محضة ومودتي صافية

ويذهب شوقي ضيف إلى ان عامة الناس ببغداد تتعلق بحكمه ووعظياته وزهدياته... وفي ذلك ما يدل على ما كان لأشعاره الزاهدة من صدق عميق في نفوس الطبقة العامة التي لم تكن تعرف ترفًا ولا نعيمًا وإنما كانت تعرف الكدح وشطْف العيش، وكأنما أحست عنده أنه يتغنى ألامها وبؤسها. ويرى أنه يتعمقه الشعور بماهي فيه من ضنك فإذا هو يرفع لبعض الخلفاء شكوى مريرة من غلاء الأسعار. يقول:

من مبلغ عني الإمام نصائحًا متتالية

انى أرى الأسعار أسعار الرعية غاليه

وأرى من المكاسب نَزْرَةً وأرى الضروة فاشية

من يرتجى للناس غيرك للعيون الباكيه

ولم يكن أبو العتاهية يقترب من العامة وما صوره فيها من بؤسها فحسب بل كان يقترب منها أيضا بأسلوبه الذي كان يشتقه اشتقاقًا من لغة الحياة اليومية ببغداد وهو أسلوب ابتعد فيه عن الغرابة والتعقيد كما ابتعد عن العجمة[1].

*كما وقف الكاتب على أحد الشعراء المجهولين الذين انتقدوا الخليفة الأمين حين رآه يقبل على سلوك الفاسقين يقول في ذلك هذا الشاعر[2].

أضاع الخلافة غش الوزير وفسق الإمام وجهل المشيرِ

ففضلٌ وزير وبكرٌ مشيرٌ يريدان ما فيه حتف الأميرِ

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 251، 252.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد 3: 212. نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 111.

وما ذاك إلا طريق غرورِ وشرُ المسالك طرق الغرورِ

ومن ليس يحسن غسل استه ولم يخل متنه من حجر طيرِ

من خلال هذه القصيدة يوجه الشاعر نقدًا شديدًا للسلطة إضافة إلى السخرية التي تضمنها البيت الأخير وتجريح في الأبيات كلها للقائمين على شؤون الرعية[1].

– كما يشير الكاتب إلى بعض الشعراء الذين نظموا في الزهد والذين تحولوا من شعراء عابثين إلى دعاة زهد، بسبب الانتقادات والاعتقال أو بسبب التقدم في السن ومن بين الشعراء الذين نظموا في هذا الإتجاه المتحول من المجون إلى الزهد، أبو نواس في قصيدته لتي يظهر فيها نسكه[2]. يقول[3]:

أنت بابن الربيع ألزمتني النسك وعودتنيه والخير عادة

فارعوى باطلي وأقصر حبلي وتبدلت عفة وزهادة

لو تراني ذكرت للحسن البصري في حال نسكه أو قتادة

لو رآها بعض المرائين يومًا لأشتراها يعدها للشهادة

ولقد طالما شقيت ولكن أدركتني على يديك السعادة

ففي هذه القصيرة يتعرض أبو نواس أيضا إلى من كانوا يتظاهرون بالنسك والزهادة وهم في الواقع عابثون فقد كان أبو نواس من الذين ساهموا في انتقاد المزيفين، كما يعترف أيضًا بفضل السلطة أحيانا في توجيه الناس بإيقاف العابثين في تخطي حدود الدنيا ومبادئها[4].

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 112.

[2] المصدر نفسه، ص 112- 113.

[3] ديوان أبي نواس، ص 459.

[4] المصدر السابق ص 113- 114.

*** تمرد أبو العتاهية على السلطة:**

يشير الكاتب إلى أن أبا العتاهية عاصر عددًا من الخلفاء العباسين هم المهدي ت 169، الهادي سنة 170 هـ، والرشيد ت سنة 193هـ والأمين ت سنة 198هـ والمأمون ت سنة 218هـ وتوفي أبو العتاهية في خلافة المأمون سنة 213هـ وكان في صباه ينظم الغزل والمجون ولكن رواة شعره احتفظوا بزهدياته وتجاهلوا قصائده الماجنة التي لم يبق منها إلا شيء قليل يكفي للدلالة على مجونه[1]. ففي كتاب الأغاني نجد مثل قوله في صدر قصيدة مدح بها الخليفة الهادي يتذكر بلهفة أيام عبثه ولهوه يقول[2]:

لهفي على الزمن القصير بين الخوَرْنَقِ والسدّيرِ

إذ نحن في غرق الجنان تعوم في بحر السرور

في فتية ملكوا عنان الدهر أمثال الصُقورِ

ويقول أيضًا:

وإلى أمين الله مهربنا من الدهْرِ العثورِ

وإليه تعبنا المطايا بالرواح وبالبكور

– ومن خلال قصيدة أبي العتاهية نجده أيضًا من المجدديين خلافًا للنمط الشعري القديم، ولم يقف على الطلل بل وقف على ذكرياته في قصرين فارسيين مستجيبًا لمظاهر حضارية جديدة والاستمتاع بما جاءت به لذائذ الحياة المادية من لهو ومجون.

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 114.

[2] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ط 2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950، ج 4، ص 60.

ومن خلال سيرة حياته يرى الكاتب أن أبا العتاهية ظل ينظم في الغزل طوال خلافة المهدي والهادي وتحول إلى نظم الزهد في خلافة الرشيد[1].

ويؤيده في هذا التوجيه شوقي ضيف: يقول كانت بغداد لعهد المهدي قد جلبت إليها شعراء كثيرين من الكوفة والبصرة قصد المعاش والتكسب وخرج إليها جماعة من المجان أمثال مطيع ابن إياس والبة واختلط بهم أبو العتاهية وأخذ يعب معهم من كؤوس الخمر واللهو... وظل يعيش حياة اللهو والقصف حتى كانت سنة 180 هـ ... فإذا هو يتحول من حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد والتقشف ولبس الصوف... وأخذ من هذا التاريخ في الإكثار من شعر الزهد وذكر الموت والفناء والثواب والعقاب والدعوة إلى مكارم الأخلاق[2].

ونجد أيضا حنا الفاخوري يرى أن أبا العتاهية أقلع عن الغزل في خلافة الرشيد وقصر قوله على الزهد في الدنيا والتذكير بالموت وأهواله[3].

وفي زهد الأداب أن المهدي ضرب أبا العتاهية مئة سوط لتغزله بحرمه حين قال في قصيدة:

ألا إن ظبيًا للخليفة صادني ومماليَّ على ظبي الخليفة من عَدْوَى

فأغضب هذا الشعر المهد فقال: الحرمي يتعرض وبنساء يعبث ونفاه إلى الكوفة[4].

ويؤيده في هذا الخبر شوقي ضيف: يقول وحدث أن رأى جارية من جواري المهدي وكانت من جواري رائطة بنت السفاح زوج المهدي فوقعت في قلبه وأخذ يتغزل فيها غزلا كثير وبلغ المهدي ذلك فغضب لتعرضه لحرمه وامر بحبسه[5]. وأمر بضربه مائة سوط[1].

---

[1] المصدر السابق ص 115- 116.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 239- 240، 241.

[3] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 423.

[4] الحصر القيرواني، زهد الأداب ج 2، نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 116.

[5] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 165.

وف أخبار أخرى نجد أحد معاصريه كان يشير الناس عليه متهما إياه بالزندقة فحين قال أبو العتاهية في عتبة التي أحبها[2].

كأن عتابة من حسنها دمية قسٍّ فتنت قسها

يا رب أنسيتنيها بما في جنة من الفردوس لم أنساها

ونقده منصور بن عمار ويقول أنه تهاون بالجنة ويَبْتَذِلُ ذكرها في شعره بمثل هذا التهاون.

يرى الكاتب أن المهدي عاقب أبا العتاهية ليحوط سلطته بشيء من المهابة ويلقيها في روع الشعراء، وليظهر أمام رعيته بأنه حامي لأعراضهم وقد سبق أن نهى بشار بن برد عن ذكر النساء والتعرض لهم، وقد يكون سبب سجنه حين بلغه أنه زنديق ثم أطلق سراحه[3]. وقد ذكر أبو فرج الأصفهاني في أغانيه جملة أخبار في هذا السياق ملخصًا أن أبا العتاهية كان يذم واعظًا وبأنه يقول مالا يفعل، وكان يبصر الناس بعيوبهم ويتعامى عن عيوبه هو، قال أبو العتاهية في ذلك.

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا إذا غبت منهم أمورًا أن تأتيها

كالملبس الثوب من عرْي عورته للناس بادية ما إن يُواريها

وهذا الواعظ هو منصور بن زياد اتهم الشاعر بالزندقة معتمدًا على حجتين واهيتين هما أن أبا العتاهية لم يكن يذكر في شعره غير الموت والقبر ولا يذكر البعث والنشور وأن غزله مسيء إلى الذات الإلهية[4].

– ويدلل الكاتب أن في شعر أبي العتاهية ما بين أنه شاعر مسلم لا زنديق[1] وذلك من خلال أبيات نظمها في ذم المنصور بن عامر دليل واضح على صدق عقيدة هذا الشاعر يقول[2]:

---

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 239

[2] الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، ج 4، ص 51.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 118.

[4] المصدر السابق، ج 4، ص 34.

ألا إننا كلنا بائد وأي بني آدمٍ خالد

وبدْؤُهُمُ كان من ربهم وكل إلى ربه عائد

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

يؤيده شوقي أنه تعرض له حمدويه صاحب الزنادقه وأراد أن يثبت التهمة عليه بأنه زنديق، ... وحامت حوله شبه كثيرة وقيل إنه يفنت للقمر ويبتهل له إبتها الملاوية، وشنع عليه واضح كبير من وعاظ بغداد وهو منصور بن عمار فقال: إنه زنديق. وقال كثيرون إنه لا يؤمن بالبعث[3].

ويقول ابن المعتز في ترجمته: إنه يرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ وذكر الموت والحشر والنار والجنة[4].

غير أن ما طبع من شعره ونشر باسم الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية اختيارات من فقيه أندلسي إختارها بذوقه الديني السليم، ولعل ذلك ما تتضارب مع ما يقال عن الشاعر من أن شعره هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النشور والمعاد. فالمعاد والنشو مبثوثان في اختيارات الفقيه بحيث يمكن أن يقال إن هذه التهمة غير صحيحة[5].

– لكن أبا العتاهية واجه عنت السجن قبل أن تثبت براءته وكره الناس جميعًا لأنهم ضيقوا عليه مسارب الحياة وعبر عن هذا الضيق[6]. في أبيات يقول فيها[1]:

---

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 119.

[2] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني ج4، ص 34.

[3] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 166.

[4] ابن معتز، طبقات الشعراء، ص 228.

[5] المرجع السابق، ص 166.

[6] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 120.

قد ضقت بالناس وأخلاقهم فصرت أستأنس بالوحدة

ما أكثر الناس لعمري وما أقلهم في حاصل القوة

تحول أبو العتاهية من شاعر مجون وغزل إلى شاعر زهد في عهد الرشيد ويرى الكاتب أن الأسباب وراء ذلك كانت متضاربة.

– هناك من يذهب إلى أنه بسبب رؤيا رآها فقرر ألا ينظم في الغزل وهناك من يرى أن أبا العتاهية انصرف عن الغزل بعد فشل في الزواج من عتبة[2].

فقد كان هناك تضارب أراح حول أسباب تحول أبي العتاهية إلى تيار الزهد.

يرجع محمد خاف الله أن وراء زهد أبي العتاهي وتحوله من تيار اللهو والمجون إلى تقوى الله عاملين رئيسين هما: إحساسه الدفين بضعة أصله ونقصه وهذا الإحساس حمله على أن ينادي بأن التقوى هي العز والكرم كما في قوله:

دعني من ذكر آب وجد ونسب يعطيك سور المجد

ما لفخر إلا في التقى والزهد وطامة تعطي جنان الخلد

والعامل الثاني حبه لعتبة الذي صهر مشاعره وكان بلا أصل فصار بذلك حرمانًا جديدًا أضيف إلى أسباب تنكسه... ويرى خلف الله أن صدمته في حبه لعتبة هي نقطة التحول الحقيقية في حياته[3].

---

[1] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 4، ص 34.

[2] المصدر السابق، ص 120. 121.

[3] دراسات في الأدب الإسلامي ص 85 وما بعدها نقلا عن: محمد مصطفى هدارة، إتجاهات الشعر في القرن الثاني للهجرة، ص 292- 293.

– ويرى مصطفى محمد هدارة أنه لم يكن هذان العاملان وحدهما السبب في تنسك أبي العتاهية وزهادته ولكن إتصاله بالثقافات المختلفة في عصره وبخاصة حركة الزهد التي بدأت تأخذ طريقها في ذلك الوقت كان له تأثير كبير في تحوله... قلبت حياته من النقيض من حياة لاهية ماجنة إلى حياة زاهدة متسكة ظاهرة[1].

– ونجد كذلك حنا الفاخوري يرجع سبب تحول أبي العتاهية من شاعر ماجن إلى شاعر زاهد هو حبه لعتبة لأن أبا العتاهية كان يكر من التشبه بها ولكنه لم يلقا منها إلا كرها ونفورًا وكانت خيبته فيها أول ما صرفه عن طلب اللهو وحطم حده مطامعه في الدنيا، فشرع يميل إلى دراسة مذهب المتكلمين وأهل الشيعة والحيرية والزهاد متنقلا من مذهب إلى آخر حتى كون له عقيدة أفضت به شيئًا فشيئًا إلى العبادة والزهد بالدنيا قولا ومعيشة[2].

– أما فالح نصيف يرى أن زهد أبي العتاهية في الدنيا كان نتيجة دراسة وثقافة عالية وليست رد فعل لعدم استجابة حبيبته إليه وربما كيليهما لذا كف عن حياة اللهو والمجون ومال إلى حياة التنسك والزهد وانصرف عن ملذات الدنيا والحياة وشغل بخواطر الموت ودعا الناس إلى التزود من دار الفناء إلى دار البقاء، وقيل أنه حج مع عبده، فلما عاد إلى بغداد لحاه الشاعر سلم الخاسر فقال أبو العتاهية[3].

والله والله ما أبالي متى ما مت يا سلم بعد ذا السقر

أليس قد طفت حيث طافت وقبلت الذي قبلت من الحجر

– وأما ما يقال عن حبس أبي العتاهية في خلافة الرشيد فالأخبار في أسباب ذلك تتناقض وتنص هذه الأخبار على أن الرشيد عضب على أبي العتاهية لأنه أقلع عن الغزل وانقطع إلى الزهد، ففي

[1] محمد مصطفى هدارة، إتجاهات الشعر في القرن الثاني للهجرة، ص 293.

[2] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 423.

[3] فالح نصيف الحجية الكيلاني، موسوعة شعراء العربية، شعراء العصر العباسي، المجلد الرابع، د ط، د. دار النشر، د ب، د ت، ج 1، ص 237، 238.

كتاب الأغاني وزهر الأداب وفي بغية الطلب ورد أن الرشيد حبس أبا العتاهية لأنه تزهد وليس الصوف وترك الغزل فأمره الرشيد أن يتغزل فأبى فحبسه[1].

وأورد أبو فرج الأصفهاني وابن العديم عدة أخبار في حبس هارون الرشيد لأبي العتاهية. ويستنتج من الكاتب أن الرشيد حبس الشاعر لأنه لم يعد ينظم في الغزل الذي يتطلبه الخليفة في مجالسه[2]، يقول أبو العتاهية فيما يشهد على ذلك بيتان يستعطف فيهما سجانه[3]:

يا بن عم النبي سمعًا وطاعة قد خلعنا الكساء والدراعة

ورجعنا إلى الصناعة لما كان سخط الإمام ترك الصناعة

ويقصد بالصناعة النظم في الغزل والإقلاع عن تزي بزي الزهاد، لم يجد الكاتب الشاعر ينظم بعد ذلك قصيدة ينعت فيها الخليفة بالظلم واللؤم ويذكره بيوم الدين وعذاب الله[4]. يقول في هذه القصيدة[5]:

أما والله إن الظلم لوم ومازال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ

وحين وصلت هذه الأبيات إلى الخليفة بكا وكفا الشاعر وأطلق صراحه ونظم أيضا شعرًا آخر وهو في السجن يظهر فيه معاناته وحنيته إلى زوجته قال فيه[6]:

---

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 121.

[2] المصدر السابق، ص 122.

[3] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 4 ص 69.

[4] المصدر السابق، ص 123.

[5] الأغاني، 4: 69، وانظر الحاشية 361 من كتاب أبو العتاهية أشعاره وأخباره، ص 353 نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 123.

[6] الأغاني 4: 31. بقية الطلب في تاريخ حلب، 4: 1772. نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 124.

من لقلب متيم مشتاق شفه شوقه وطول الفراق

طال شوقي إلى قعيدة بي ليت شعري فهل لنا من تلاق

جمع الله عاجلًا بك جمعي عن قريب وفكني من وتاقي

ومن خلال هذه الروايات التي أوردها أبو فرج الأصفهاني وابن العديم عن قصة سجن الرشيد لأبي العتاهية دليل على ثبوت رأي الشاعر ومبادئه وعدم خضوعه للسلطة وظل ينظم في الزهد ورفض أن يعود إلى نظم الغزل[1].

ونجد العديد من المؤلفين يؤيدون الكاتب في قصة سجن أبي العتاهية في خلافة الرشيد منهم شوقي ضيف يقول أنه في السنة التي نزل فيها الرشيد الرقة فإذا هو يتحول من حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد والتقشف ولبس الصوف، ويحاول الرشيد أن يعود به ثابتة إلى مديحه الرائع وله وإلى ما كان يضيفه من بديع الثناء، فيمتنع ويضيق الرشيد بامتناعه، ويأمر بضربه وحبسه في دار موسعًا عليه حتى يصدع لأمره.

ويسترسل أبو العتاهية في استعطافه بمثل قوله:

إنما أنت رحمة وسلامة زادك الله غيطةٌ وكرامة

لو توجعت لي فروحت عني روح الله عنك يوم القيامة

ويرق الرشيد ويأمر بإطلاقه[2].

ويرى جرجي زيدان أيضا أنه عندما استقر رأي أبي العتاهية على التمسك بالإسلام والزهد عن الدنيا. أمره الرشيد أن يقول الشعر فأبى فحبسه وضربه ثم أطلقه شفقة[1].

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 124.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 240، 41.

ونجد أيضا حنا الفاخوري يرى أن أبا العتاهية امتنع عن قول الشعر امتناعًا تامًا، فحبسه الرشيد لرفضه تلبية ما كان يقترحه عليه من القول ولم يطلقه إلا بعد أن نزل عن رغبته وعاد إلى الشعر هاجرًا الغزل والهجاء[2].

– ويعود سبب سجن أبي العتاهية هو شعره الذي كان ينتقد فيه الأثرياء وأصحاب السلطة التي تعد ضربًا من التمرد وهذا ما نجده في قصيدته التي انتقد فيها الشاعر جملة من اللاهين[3].

يقول[4]:

خانك الطرق الطموح أيها القلب الجموح

كلنا في غفلة والموت يغدو ويروح

لقد كان دور شعراء الزهد في العصر العباسي إيجابيًا وذلك بتذكير الناس بما ينفعهم وتحذيرهم من ملذات الدنيا الزائلة والدعوة إلى التكافل الاجتماعي[5].

مذهب أبي العتاهية في لغة الشعر:

تنازل الكثير من أصحاب الزهد عن شروط الإبداع الفني التي كانت حاجزا بينهم وبين المتلقين وذلك من أجل إرضاء أذواقهم وهذا ما نجده عند أبي العتاهية في تنظيم شعر الزهد.\ويشترط أبو العتاهية لغة الشعر أثناء الحوار الذي دار بينه وبين أبي الأبيض أن يكون الشعر مثل أشعار الفحول المتقدميين ومثل شعر بشار وابن هرمة وألفاظه سهلة لا تخفى على الناس مثل شعره فأبو الأبيض

[1] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ص 455.

[2] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 423.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 126- 127.

[4] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 4، ص 102.

[5] المصدر السابق، ص ص 127.

شاعر ينظم في الزهد ولم يكن راضيا عن زهدياته والتي تعد في نظر أبي العتاهية رديئة وهذا لأن لفتها لا توافق لغة الزهاد ولغة الفحول من المتقدمين وشعر بشار.

ويقسم لغة الشعر إلى شعبتين: الشعبة الأولى تشمل أشعار الفحول المتقدمين وشعر بشار وابن هرمة. لأن لغتها وأسلوبها رصين ومتين وفيه غرابة الألفاظ تعنى بالملوك ورواة الشعر وطلاب الغريب. والشعبة الثانية: تظم شعر الزهاد ولغتها سهلة تتمثل في الانكشاف والسوقية وكان يعنى بها أصحاب الحديث والفقهاء والعامة[1].

– ويكمن مذهب أبي العتاهية في لغة الشعر إلى مبدأ التسهيل في اللغة ومن ذلك لما أنشد سلمًا الخاسر قصيدته التي مطلعها :

نغضَ الموتُ كل لذَةِ عيشٍ يا لَقومي لِلموتِ ما أوحاه

فقال سلم لأبي العتاهية لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها سوقية. فقال والله ما يرغمني فيها إلا الذي زهدك فيها[2].

كما شهد له معاصروه بالتجويد وقوة القريحة يقول ابن مناذر "أبو العتاهية يتناول شعره من كمه"[3].

ويقول المبرد فيما يرويه عن تلميذه ابن المعتز: "كان أبو العتاهية لسهولة شعره وجودة طبعه فيه، ربما قال شعرًا موزونًا ليس من الأعاريض المعروفة وكان يلعب بالشعر لعبًا، ويأخذ كيف يشاء"[4].

وفي الشعر والشعراء يقول ابن قتيبة عن موهبة أبي العتاهية وقدرته على النظم وخروجه عن أعاريض وأوزان العرب وكان يقول: "أنا أكبر من العروض"[1] وهذا تمرد واضح على المرجعية الموسيقية في الشعر

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 128- 129- 130.
[2] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 4، ص 92.
[3] المصدر نفسه ص 75.
[4] طبقات الشعراء، ابن المعتز، ص 229.

الشعر العربي والسعي إلى التجديد ومن خلال الأخبار التي أوردها الكاتب يقف أمام مذهبين شعريين متناقضين هما: مذهب الإبداع في الصورة ودقة المعاني ومتانة الأسلوب وهو مذهب مسلم بن الوليد والمذهب الثاني: مذهب التسهيل في اللفظ والانكشاف في المعنى وهو مذهب أبي العتاهية، فاختياره لهذا المذهب لم نابعًا عن ضعف وإنما لإيصال رسالته إلى عامة الناس.

– كما كان ينتقد الشعراء المحدثين الذين لا يحسنون لغتهم الشعرية كلغة المحدثين وفي الوقت نفسه ألا تكون مثل أشعار القدماء في غرابة لفظها. فقد كان أبو العتاهية حريصًا على ضرورة توفيق المبدع بين إبداعه وأذواق المتلقين وتجنب استعمال الغريب[2].

ولدي خبر عن أبي العتاهية يقول راوي هذا الخبر "جاء لي أبو العتاهية وأنا في الدويان، فجلس إلي، فقلت: يا أبا إسحاق أما يصعب عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائر من يقول الشعر...؟ قال: لا. فقلت له: إني لا أحسب ذلك من ركوبك القوافي السهلة. قال: فاعرض علي ما شئت من القوافي الصعبة، فقلت: قل أبياتًا على مثل البلاغ فقال من ساعته:

أي عيش يكون أبلغ من عيش كفاف قوت بقدْرِ البلاغ[3]

– انعكست هذه الظاهرة إيجابًا على مستوى التلقي والإبداع وكثر متذوقو هذا الضرب من الشعر من الفقهاء والمحدثين وعامة الناس[4].

* ويؤيده في هذا التوجيه العديد من المؤلفين منهم عارف حجاوي يرى أن هذا الشاعر قديم... أقدم من البحتري والمتنبي فكيف كانت لغته سهلة سهولة تجعل الشارح يتحير ماذا يقول ويرى أن أبا العتاهية مفرداته من معجمه الطبيعي واستمد الشعراء الذين ذكرناهم مفرداتهم من معاجم مستعارة،

---

[1] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج 4، ص 66.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص ص 131- 132، 133، 134.

[3] المصدر السابق ص 40.

[4] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 135.

وفي هذا الشيء من الإبداع العتاهي فهو لم يوسع على نفسه كي يخرج من مضايق الوزن والقافية باللجوء إلى الكلمات الغريبة. وقد يختار بعض الكاتبين والناظمين أن يكتب بمعجم طبيعي ثم يزخرف عباراته بأن يحشد فيها التشبيهات الغريبة والمجازات دون ن يخرج عن المفردة السهلة المأفوسة فأما أبو العتاهية فلم يلجأ إلى غريب التشبيه والمجاز ولزم البساطة وجعل يدهشك بدقة الفكرة، هذه بعض فكرات دقيقة من العتاهي "كلما رمشت عيناك مات جزء منك" نل كل المال ونل كل الأماني أيضا وأخر هذا كله ماذا؟ الموت" هذه أفكار تحتوي على مفارقات فيها معان لطاف فإن أرفقت هذا بتلك اللغة السهلة فهاهنا عبقرية أبي العتاهية ويزداد انتباهنا لهذه العبقرية إذ نرى الرجل جعل كل شعره يدور على موضوع واحد هو الموت[1].

ويقول جرجي زيدان أن أبا العتاهية قد أطلق نفسه من التقليد بالمعاني والألفاظ. فأتى بمعان جديدة، ونظم على أوزان لا تدخل في العروض ولم يتقدمه فيها أحد... وكان لطيف المعاني سهل الألفاظ، فقد سأله بعضهم. كيف تقول الشعر؟ قال "ما أردته قط إلا مثل لي فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد"[2].

ويرى شوقي ضيف أن السهولة المفرطة في إختبار الألفاظ والعبارات حتى لتقرب من لغة الناس اليومية[3].

ويرى حنا الفاخوري أيضًا أنه مما زاد في طبيعة شعر أبي العتاهية سهولة ألفاظه وبعدها عن كل آبدٍ وحشي، وتوخي لشاعر جعلها قريبة أبدًا إلى إفهام الجميع[4].

– ويؤيدهم أيضا فالح نصيف في هذا التوجيه ويرى أن شعر أبي العتاهية يتميز بسهولة عجيبة وبوضوح المعاني والألفاظ المنتقاة فكان شاعرًا مكثرًا سريع الخاطر، في شعره إبداع وفن. وكان كثير

[1] عارف حجاوي، تجديد الشعر... زبدة الشعر العباسي من بشار إلى البحتري، ص 83.
[2] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ص 455- 456.
[3] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي. ص 171.
[4] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 434.

النظم حتى قيل (لم يكن للإطاحة بجميع شعره من سبيل) وفي شعره غزارة في المعاني أمدته بها حياته وسط العامة في الكوفة ونشأته المتواضعة بين سوقة الناس وعامتهم فكان ما وعاه طبعه وأفادته قريحته منها أكثر مما اكتسبه من تأدبه في الكتاتيب وعلى أيدي الأدباء والعلماء واقتناه من عِلمه[1].

[1] فالح نصيف الحجية الكيلاني، موسوعة شعراء العربية، شعراء العصر العباسي، م 4، ج 1، ص 240- 241.

- نلخص في هذا الفصل إلى مجموعة من النقاط هي :

- استعمال شعراء الزهد أسلوب الخطاب المباشر في رصد سلوك مجتمعهم، وتذكير الناس بما ينفعهم وتحذيرهم من ملذات الدنيا الزائلة.

- انتقاد بعض الشعراء الزهاد الخلفاء وأصحاب السلطة.

- يعتبر أبو العتاهية من الشعراء المجددين خلافًا للنمط الشعري القديم.

- تحول أبو العتاهية من شاعر مجون إلى شاعر زهد في عهد الرشيد.

- سجن أبو العتاهية بسبب شعره الذي انتقد فيه أصحاب السلطة والأثرياء.

- يكمن مذهب أبي العتاهية في لغة الشعر إلى مبدأ التسهيل في اللغة.

- جمع أبو العتاهية بين سهولة وبساطة المبنى ودقة المعنى وجماله.

الفصل الرابع

الفقر والتمرد في الشعر العباسي

تمهيد:

شهد العصر العباسي في القرون الهجرية الثلاثة الأولى ظاهرة التمرد على السلطة سواء السياسية أو الاجتماعية أو الدينية لدى طائفة من الشعراء المعوزيين، ومن بين الدارسين الذين إهتموا بهذه الطائفة حسين عطوان في كتابه شعراء الشعب في العصر العباسي الأول والذي تناول فيه أسباب ظهورهم وموضوعات وخصائص شعرهم. كما وقف الكاتب في هذا الفصل ورصد طائفة منهم مبينًا أسباب سوقية وبذاءة أشعارهم وما تحمله من شكاوى وتعريض وانتقاد للسلطة[1].

*** تمرد الشعراء المعوزين على السلطة.**

عاش الشعراء العباسيون تفاوتًا في المستوى المعيشي وكانت هناك طائفتان من الشعراء الطائفة الأولى هم الشعراء المعوزيين المحرومين من كل شيء والطائفة الثانية هم الشعراء الذين عاشوا حياة البذخ بتوددهم إلى أصحاب السلطة والجاه فأخرجتهم من عوزهم مثل أبي نواس وأبي العتاهية أما الطائفة الأولى من الشعراء المعوزيين فواجهوا عوزهم بالشكوى المريرة والسخرية العابثة وادعاء الجنون والسخط على السلطة التي لا تأبه بأوضاعهم الاجتماعية. ومن بين الشعراء المعوزيين الذين رصدهم الكاتب نجد[2]:

– أولا : أبو دلامة :

– اسمه زيد بن الجون، شاعر كوفي من موالي بني أسد، مخضرم عاصر الخليفة المنصور والمهدي[3]. سمي أبا دلامة نسبة إلى ابنه دلامة[4] كان يستخدم أسلوب التهريج في أشعاره وسيلة لكسب الرزق والذي كان يعبر فيه عن مأساته والتعريض بالسلطة.

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 144.

[2] المصدر نفسه، ص 145.

[3] جورجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 20012، ج 2، ص 462.

[4] المصدر السابق، ص 145.

يقول في إحدى قصائده للمنصور معارضًا بزوجته في إلحاحها عليه بالسعي إلى طلب المال[1].

لا والذي يا أمير المؤنين قضى لك الخلافة في أسبابها الرفع

ما زلت أخلصها كسبي فتأكله دوني ودون عيالي ثم تضطجع

ذكرتها بكتاب الله الله حرمتنا ولم تكن بكتاب الله تقتنع

فاخر فطمت* ثم قالت وهي أأنت تتلو كتاب الله يا لكعُ

أخرج لتبغ لنا مالًا ومزرعة كما لجيراننا مال ومزدرع

وفي نفس الخبر للقصيدة: "أن المنصور ضحك وقال: أرضوه عني بمئتي جريب عامرة، ومئتي جريب غامرة*... قال أبو دلامة أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة فيه جريب غامرة فيما بين الحيرة والمجف وإن شئت زدتك فضحك. وقال: اجعلوها كلها عامرة[2].

فأبو دلامة اصطنع أسلوب التهريج لكسب المال عن طريق الإضحاك وهذا ما اصطنعه من حكايته الساخرة مع زوجته[3].

– ويؤيده في هذا الرأي شوقي ضيف في قوله أنه كانت فيه دعابة جعلته خفيف الظل واتخذه الخلفاء نديمًا لهم ليطرفهم بنوادره... وله نوادر كثيرة ترويها كتب الأدب منها ما تتصل بالخلفاء ونسائهم ومنها ما تتصل بزوجته وكان يعرف كيف يحيل بعض نوادره شعرًا إذا كان الشعر يتدفق على لسانه تدفقًا، ويروي أنه بشر بنبت له فقال مداعبًا ومتضحكا[4].

---

[1] الأصفهاني، الأغاني، ج 10، ص 238، ديوان أبي دلامة، ص 79.

* اخر فطمت: استكبرت وعضبت، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 145.

* الغامرة التي لا نفع فيها.

[2] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938، ج 10 ص 238.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص

[4] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 296. 297.

فما ولدتك مريم أم عيسى ولم يكفلك لقمان الحكيم

ولكن قد تضمك أم سود إلى لبَّتها وأب لئيم

– وفي شعر أخر يقول في نصيحة ساخرة ناقدًا (شعراء وسوء أوضاعهم المعيشية وأن يَدَعوا نظم الشعر ويشتغلوا نحاسين[1].

إن كنت كبغي العيش حلوًا صافيًا فالشعر أعزبه وكن نحاسًا

تنل الطرائف من طرف نهد يحدثن كل عيشة أعرسًا

والربح فيما بين ذلك راهم سمحًا يبيعك كنت أو مكاسًا

يلحظ الكاتب من خلال هذه الأبيات انتقاد الشاعر وتعريضه للسلطة السياسية التي أغمضت أعينها على هذه الفئة من المبدعين الذين كانوا يعانون التقصير في واجباتهم[2].

– ويلجأ أبو دلامة إلى حيلة ثانية بمهارته في الإبداع والتخيل بأن حجاته أصبحت تتراء كله في منامه ويراها مقضية[3].

يقول للمنصور في ثلاثة أبيات[4]:

رأيتك في المنام كسوت جلدي ثيابا جمة وقضيت ديني

فكان بنفسجي الخز فيها وساج ناعم فأتم زيني

فصدقْ يا فدتك النفس رؤيا رأتها في المنام كذا عيني

[1] الأصفهاني، الأغاني، ج 10، ص 250.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 147.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 147.

[4] الأغاني، الأصفهاني، ج 10، ص 251.

– فأصبحت هذه الرؤيا في أشعار الشعراء المعوزيين ظاهرة يلجأ إليها هؤلاء الشعراء في التعبير عن معاناتهم وسخطهم على المجتمع الذي لم يرحم عوزهم[1].

كما جعل من التهريج أيضا وسيلة في إظهار تمرده على القيم الدينية والسخط عليها يستغرب الكاتب من تجاوز كل من المنصور والمهدي على هذا الهجوم على الدين الذي تجرأ به هذا الشاعر ولم تتجاوز عقوباتهم حد التعنيف ولم يقم عليه الحد وسجن مرة واحدة والأمثلة الدالة على ذلك وردت في الكثير من المصادر منها طبقات ابن المعتز، الأغاني... إلخ[2]

ومن ذلك مثلا أن المنصور هدده بالسجن إن لم يذهب إلى الصلاة معه في المسجد فلزم ذلك أيامًا ثم ضاق ذرعًا بما ألزم به فكتب قصته إلى المنصور يذم ويستعطف قائلا:

ألم تعلم أن الخليفة لزّنى بمسجده والقصر مالي وللقصر

أصلي به الأولى جميعًا وعصْرَها فويلي من الأولى وويلي من العصر

أصليها بالكَرْهِ في غير مسجدي فمالي في الأولى ولا العصر من أجرٍ

فلما قرأ المنصور قصته ضحك وأعفاه من الحضور معه...[3]

وفي قول أخر يشتكي أبو دلامة بسخريته التي ألفتها السلطة عنت قيام الليل في ليلة القدر يقول[4]:

يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا يا ليلة القدر حقا ما تمنينا

لا بارك الله في خير أؤمله في ليلة بعدما قمنا ثلاثينا

– ويؤيد الكاتب في هذا التوجيه مصطفى هدارة: إلى أن أبا دلامة كان يقر ويجهر بترك الفرائض ويهاجم الصوم في صراحة تامة ويتهكم بالصلاة ويصر على تركها في قوله[1]:

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 148.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 148.

[3] الأغاني، الأصفهاني، ج 10، ص 270.

[4] المصدر نفيه، ص 250.

والله ما لي نية في صلاته والبر والإحسان والخير من أمري

وأبو دلامة نفسه يصرح بهذه الحقيقة قائلًا[2]:

والله ما بي من خير فتطلبني في المسلمين وما ديني بمحمود

وفي خبر أخر ورد أن المنصور حبس أبا دلامة مع الدجاج بعد أن جاء سكرانًا وحين أفاق من سكره كتب إلى المنصور رقعة قال فيها:

أمير المؤمنين فدتك نفسي علام حبستني وخرقت ساجي

آمن صفراء صافية المزاج كأن شعاعها لهب السراج

أقاد إلى السجون بغير جرمٍ كأني بعض عمال الفراج

ولو معهم حبست لكان سهلًا ولكني حبست مع الدجاج

ففي هذا البناء السردي للقصيدة يرى الشاعر أن شرب الخمر ليس جرمًا يحبس عليه مثل عمال الفراج الذين يسرقون أموال الدولة، فإشارة أبي دلامة إلى عمال الفراج وسجنهم يشير بذلك إلى تقصير السلطة في معاقبتهم.

يقول أبو فرج الأصفهاني "كان فاسد الدين رديء المذهب مرتكبًا للمحارم مضيعًا للفروض مجاهرًا بذلك...".

وروى أبو الفرج في موضع ثان أن المنصور أمره بالقيام معه في ليالي شهر رمضان. وأنه شق عليه ذلك فكتب إلى رَيْطة زوجة ابنه المهدي شعرًا يضحكها به ويستشفعها عند عمها المنصور، وفي خبر ثالث أن المنصور سجنه لسكره، وقد يكون فيه لهو وميل للمجون، أما أن يكون فاسد الدين مخلا

[1] محمد مصطفى هدارة، إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د ط، دار المعارف القاهرة، 1963، ص 243.

[2] ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص 56.

بالفروض للخبرين الأولين وما يشبههما فإن ذلك يكون مبالغة في الحكم عليه إذا كان يذهب بذلك إلى الدعابة شأنه في دعاباته الأخرى التي رواها أبو الفرج وغيره[1].

– ويصرح أبو دلامة أنه لا يرغب في أداء الحج، لأن طريقه خالية من الحانات وهو لا يصبر على الخمر. فقد فسد فسادًا لا صلاح بعده يقول.

نبئت أن طريق الحج معطشةٌ من الطلاء ومباشر بي بتصريد

والله ما في خير فتطلب في المسلمين وما ديني بمحمود

يصرح الشاعر بحريته وانحلاله الديني فالشاعر يعرض علينا فكرة السلبي ويعتد بسلوكه القبيح[2].

والملاحظ من خلال شعر أبو دلامة تمرده الواضح على القيم الدينية.

– يرفض أداء الفرائض والتصريح بذلك في شعره.

أبو الشمقمق: من الشعراء المعوزين في العصر العباسي الأول عاصر بشار بن برد في ق 2هـ، توفي في خلافة الرشيد 180هـ. جمع أشعاره المستشرق غوستافي غرونباوم في كتابه شعراء عباسيون كان يشتكي فيها أوجاعه مع أسرته من شدة الفقر[3].

تعريفه: هو مروان بن محمد بصري المنشأ، خراصاني الأصل[4]، من بخارية عبيد الله بن زياد ومن موالي مروان بن محمد أخر الخلفاء الأمويين وتاريخ ميلاده مجهول، ولكن يغلب الظن أنه ولد بأخرة

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 296.

[2] إنصاف محمد سالم المومنى، حسين يوسف قزف، عمر عبد السليمان المومنى، صور من التمرد في شعر العصر العباسي الأول، مجلة كلية الأداب الأدب وعلوم اللغة، ملحق 2، المجلد 73، العدد 1، 2012 ص 11.

[3] أنظر: غوستاف غرونباوم شعراء عباسيون، ترجمها وأعاد تحقيقها، محمد يوسف نجم، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1، 909، ص 121– 157، نقلا عن ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 151– 152.

[4] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العصر العباسي الأول، ص 436.

من العصر الأموي بالبصرة[1] ومعنى الشمقمق الطويل ويقال أنه كان قبيح المنظر وأضاف إلى قبح شكله بخبث لسانه[2].

وقد قضى الشطر الأول من حياته بالبصرة لا يتصل بعامل ولا يظفر بنوال فكان يتردد على بشار بن برد ويسأله بعض الدراهم فكان يعطيه في العام الطويل مائتي درهم إتقاءً لشره وخوفا من فاحش هجاءه[3].

– إتجه إلى بغداد في أيام الرشيد والبرامكة غير أن أبوابها لم تفتح له، ولعل ذلك ما جعله يهجو الفضل بن يحي البرمكي كما هجا منصور بن زياد[4].

– وفي قصيدة له نجده سلك مسلك الشطار حين يقول[5]:

عاد الشمقمق في الخسارة وصبا وحنا إلى زرادة

من بعدما قبل ارعوى وصحا لأبواب الشطار

يرى الكاتب في هذه القصيدة حصر أبو الشمقمق قيم الشطار في معاقرة الخمر ومجالس الغناء وما يعانوه من فقر، واضطرارهم إلى الاستعطاء من أصحاب السلطة والكشف عن أحوالهم. وفي قصيدة نفسها يخاطب الشاعر الخليفة أبا جعفر المنصور يخبر عما رآه في منامه:

يأيها الملك الذي جمع الجلالة والوقارة

إني رأيتك في المنام وعدتني منك الزيارة

إن العيال تركتهم بالمصر خبزتهم العصارة

---

[1] حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، د ط، دار الجيل، بيروت، د ت، ص 108، 109.

[2] المرجع السابق، ص 436.

[3] الأغاني، الأصفهاني، ج 3، ص 46.

[4] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 436- 437.

[5] غرنباوم، شعراء عباسيون، ص 139، طبقات ابن المعتز، ص 126، نقلا عن: في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 152.

وشرابهم بول الحمار مزاجه بول الحمارة

– فهذه الشكوى المقرونة بالمديح في تحقيق الشاعر لمطالبه ضرب من التمرد على السلطة التي غفلت عن هذه الفئة المهمشة من المجتمع[1].

ويؤيده حسين عطوان من خلال قوله أن شعره كان يمثل حياته الفقيرة وما ظل يعانيه من مرارة الحرمان والعدم والإملاق وما كان يجيش بصدره من الألم والتمرد والحقد لإقلاله المتصل وتعاسته التي لم تنقطع ويمثل أيضا سعيه للحصول على الدراهم القليلة التي يقوم بها حياته وحياة أبنائه وما لازمه من إخفاق جعله ضيق الصدر عصبي الطبع كما حمله على الاستكثار من الهجاء والإفحاش فيه مبتغيًا إذلال مهجوه وإهانته وإضحاك الناس منه، وهناك أمثلة كثيرة من شعره يصور فيه سوء حاله وسوء حال الطبقة الفقيرة وأمثلة أخرى تتصل ببؤسه وسلوكه[2]...، ومنه قوله يصف فقره وإقلاله وأنه لا يملك حتى ما يكسو به السرير الذي ينام عليه وأنه لا يملك من المتاع شيئًا إلا حصيرة وبعض السمار والأطمار الخرقة فيقول[3]:

لو قد رأيت سريري كنت ترحمني الله يعلم مالي فيه تلبيس

والله يعلم مالي فيه شابكة إلا الحصيرة والأطمارُ والديس

– يرى الكاتب أن جل أشعار أبي الشمقمق كانت تصب في السخرية النافذة والشكوى من ظروفه المعيشية القاسية ووصف منزله الذي كان يخلو من مستلزمات الحياة ومعاناته وتعريضه بالسلطة والسخط على أهل مجتمعه الذي لم يرحم عوزهم حيث يدعون الكرم[4] يقول في هذا الصدد[5]:

---

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 152- 153.

[2] حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص 112- 113.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص 483. يريد بالتلبيس ما يكسى به السرير من الحشية والملاءة. والشابكة ما يضم بعضه إلى بعض والديس هو في مصر باسم السمار.

[4] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 156.

[5] غرنباوم، شعراء عباسيون، ص 149، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 156.

ذهب الموالي فلا حوال وقد فجعنا بالعرب

إلا بقايا أصبحوا بالمصر من قشر القصب

بالقول بدوا خاتما والعقل ريحٌ في القرب

– فشعر أبو الشمقمق لغته سهلة ولو لا إكثاره من الألفاظ الدنيئة لكان من الشعراء المجودين وإسرافه في هذه التعابير البذيئة كان ضربًا من التمرد على المجتمع وقيمه[1]. وهو يهجو بغداد لما شاع فيها من زيف وفساد أهلها والتظاهر بالنشرف. يقول[2]:

ليس فيها مُرُوَّة لشريف غير هذا القناع بالطيلسان

وبقينا في عصبة من قريش يشتهون المديح بالمجان

– ويؤيده حسين عطوان في هذا التوجيه من خلال نقد أبي الشمقمق الساخر لمن كانوا يتظاهرون بالتدين وهو بغاة طاغون في الإثم والفسق، وقد نقد الأوضاع الاجتماعية الفاسدة وما كانت تقوم عليه من التفاوت بين الطبقات تفاوتًا كبيرًا لا يعتمد على أي أساس صحيح يعطى معه كل إنسان حقه على قدر فضله في نفسه وعمله، ومن نقد أبي الشمقمق قوله يندد بمن يتسترون بالورع والتقوى ليخدعوا الناس على أنفسهم ويصرفوهم عما يقترفون من الكبائر والمظالم[3]:

إذا حججت بمال أصله دنس فما حججت ولن حجة العِيرُ

لا يقبل الله إلا كل طبيبة ما كل من حج بيت الله مبرُورٌ

[1] المصدر السابق، ص 157.

[2] غرنباوم، شعراء عباسيون، ص 150– 151. نقلا عن قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 157.

[3] حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص 115.

– ويعده حسين عطوان رائد فن الهجاء فهو الفن الذي تخصص فيه وتأنى في صياغته وصناعته ووقع على أخبث معانيه وأشنعها وأقبح صوره وأبشعها واتخذه سلاحًا إلى طعن خصومه، إذ عمد فيه إلى تحقير مهجوه تحقيرًا عنيفًا كقوله يهجو جعفر ابن أبي زهير[1]:

شرابك في السراب إذا عطشا وخبزك عند منقطع التراب

رأيت الخبز عز لديك حتى حسبت الخبز في جو السحاب

وما روحتنا لتذب عنا ولكن خفت مزْرئة الذباب

– وفي فن الهجاء عنده ظاهرتان: أولهما: أنه أكثر فيه من استخدام ألفاظ العامية والأمثلة الشعبية، كقوله يهجو بشار بن برد[2]:

سبع جوزات وتينه فتحو باب المدينة

إن بشار بن برد تسين أعمى في سفينة

– والظاهرة الثانية: اعتماده على الصور القبيحة التي كان يرسمها لمهجوه ليوضح به حرصه على المال. وشحه به وليظهر بها في أسوء مظهر مهيئًا للناس الأسباب ليستخفوا به ويضحكوا منه مثال ذلك قوله في أوفى بن المنصور[3].

ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة حتى نزلت على أوفى بن المنصور

يبس اليدين فما يستطيع بسطها كأن كفيه شدَّا بالمسامير

وقف الكاتب أيضا على طائفة من الشعراء المعوزين الذين قابلوا الحياة بضرب من البله والتحامق وعُرفوا بالحمقى والمغفلين ومن هؤلاء المتحاملين أبو العجل.

[1] المرجع نفسه، ص 117، 118.
[2] المرجع نفسه، ص 119.
[3] المرجع نفسه، ص 119.

يقول ابن المعتز يصفه "وكان أبو العجل من أأدب الناس وأحكمهم وأكملهم عقلا... استعمل الغفلة... فلم يحل عليه الحول حتى اكتسب بذلك مالا كثيرًا"[1].

فقد كان هؤلاء الشعراء يعبرون عن معاناتهم بضرب من التحامق حتى يقولوا ما يشاءون ويجعلون منع شعرًا وفنًا ساخرًا ليفلت من السلطة وعقوبتها.

يقول أبو العجل[2]:

أيا عاذّلي في الحمق دعني من ... فإني رخيُّ البال من كثرة الشغل

فمرني بما أحببت آتِ خلافة ... فإن جئتني بالجد جئتك بالهزل

وإن قلت لي: لم كان ذاك جوابُه ... لأني قد استكثرت من قل العقل

فأصبحت في الحمق أميرًا مؤمرًا ... وما أحدٌ في الناس يمكنه عزلي

وصير لي حمقي بغالًا وغلمةً ... وكنت زمان العقل ممتطيًا رجلي

– فهذه المفارقات والمقابلات تكشف عن ذكاء الشاعر وفطنته ومقابلة ظروفه بالتحامل والتي جعلت منه أميرًا وتوفير كل ما كان محرومًا منه في زمان العقل.

وفي نص أخر يكشف أبو العجل عن مدى معاناته في زمن العقل وأن في التعاقل ضيق وفي التحامق سعة وراحة بال يقول[3]:

أكففْ ملامك مُحسِنًا أو مُجْمِلًا متطوِّعًا

أعلى الحماقة لمتني؟ قد كنت مثلك أولًا

فدخلت مصر وأرضها والشام ثم المَوْصِلا

[1] طبقات الشعراء، ابن المعتز: 340- 342، 425.

[2] المرجع نفسه، ص 340.

[3] المرجع نفسه، ص 341.

وقرى الجزيرة لم أدع فيها لحي منزلا

إلا حللتُ فناءه بالعقل كي أتموّضلا

إذا التعاقلُ حرفةٌ فعزمت أن أتحوّلا

فانظر إلي أما تراه حال الحماقة أجملا

من ذا عليه مؤنّبي حتى أعود فاعقلا

كما ورد في كتاب يتيمة الدهر للثعالبي شكوى الشعراء المحرومين وسخطهم على زمانهم ومن الأمثلة التي يستدل بها الكاتب في هذا المقام هي (أشعار ابن لنْكك البصري وأشعار أبني الرقعمن)[1].

ابن لنْكك: هو أبو الحسن محمد بن محمد، كان في جل أشعاره يذم ويسخط على زمانه وأهل عصره.

يقول[2]:

مهنى الأحرار وانقرضوا وبادوا وخلفني الزمان على علوج

وقالوا: قد لزمت البيت جدا فقلت لفقد فائدة الخروج

لمن ألقي إذا أبصرت فيهم قرودًا راكبين على السروج

زمان عز فيه الجود حتى تعالى الجود في أعلى البروج

– وفي نص ثان يصب غضبه على من يتظاهرون بالوقار، وطول اللحي: يقول[3]:

[1] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ج 2، ص 407.

[2] المرجع نفسه، ص 407، 409.

[3] المرجع نفسه، ص 410، 411.

لا تخدعنك اللحي ولا الصور تسعة أعشار من ترى بقر

تراهم كالسحاب منتشرًا وليس فيهم لطالب مطر

– ويرى أن ملوك عصره وقضاتهم أشباه الحمير والحمقى:

أو ما رأيت ملوك عصرك أصبحو يتجملون بكل قاض أحمق

لا تلق أشباه الحمير بحكمة موه عليهم ما قدرته ومخرق

فتسخطه الشديد على زمانه وأهل عصره وحكامه كان ضربًا من التمرد على السلطة لما كان يعانيه من حرمان[1].

أبو الرقعمن: هو أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي (ممن تصرف بالشعر الجزل في أنواع الجد والهزل)[2] وهو أيضًا هجا زمانه وأهل عصره.

كفى ملامك يا ذات الملامات فما أريد بديلًا بالرقاعات

وقد مجنت وعلمت المجون فما أدعي بشيءٍ سوى رب المجازات

وذاك أني رأيت العقل مطرحًا فجئت أهل زماني بالحماقات

لما حللت بدار مالها أحد إلا أناس تواصوا بالخساسات

يرى الكاتب أن الشاعر يذم أهل عصره وزمانه لانحطاط قيمه برفع شأن الأخساء وقللوا من شأن هذا الشاعر فقابل ظرفه هذا بالمجون والحماقة بالتعبير عن معاناته النفسية.

وفي نص آخر يظهر أسفه على غرابة دهره لغربته النفسية عنه. يقول[3]:

---

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة ص 164.

[2] الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ج 1، ص 379، 380، 384، 385.

[3] المرجع نفسه، ص 387.

لمن أمدحُ بالشعر؟ لمن أقصد؟ لا أدري

إلى من إن دجا خطبٌ ونالت نوب الدهر

تحيرت فما أدري الذي أصنع في أمري

على أني بالدهر وبالأيام ذو خبْر

فقد كان عدد كبير من الشعراء والكتاب والعلماء في العصر العباسي اضطرتهم ظروفهم وعوزهم في أن يحتالوا لكسب المال والمآوى من خلال أشعارهم التي كانت تعبر عن شكواهم ومعاناتهم من الفقر[1].

– أما في المقامة القريضية نجد أبا الفتح الاسكندري يصف وضعه المعيشي لكسب الرزق.

أما تروني أتغشى طِمْرا ممتطيًا في الضر أمرًا مُراً

لولا عجوزٌ لي يسُر من را وأفرخ دون جبال بصرى

قد جلب الدهر عليهم مترا قللت يا سادة نفسي صبرًا

– ويقول في المقامة البصرية:

والفقر في زمن اللئام لكل ذي كَلِم علامه

رغب الكرام إلى اللئام وتلك أشراط القيام

فبديع الزمان الهمذاني جعل من أبي فتح الاسكندري النموذجا من هذه الطائفة من المعوزين في ق 4 هـ التي لهم ذات إجتماعية مثقلة بالوجع والحرمان.

[1] ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة ص 166.

– وظهر في ق 04 الأحنف العبكري: يبين في شعره عن معاناته ومعاناة شعراء عصره الذين عانوا من الحرمان والسعي في الكسب حول أنحاء الدولة الإسلامية، ففي شعره إدانة صريحة وتمرد على الوضاع الاجتماعية والسياسية على ما شاع فيها من فساد في تسيرهم.

يقول في قصيدة يهجو فيها زمنه وأهل عصره يصفهم بالأنذال[1]:

عشت في ذلة وقلةُ مال واغتراب في معشرٍ أنذال

بالأماني أقول لا بالمعاني فغذائي حلاوةُ الآمال

لي رزق يقول بالوثق في الرأي ورجلٌ تقول بالاعتزال

– ويرى أن للعنكبوت والخنفساء بيتًا تأوي إليه في حين هو كان محرومًا منه فيقول[2]:

العنكبوت بنت بيتًا على وهن تأوي إليه ومالي مثله وطن

والخنفساء لها من جنسها سكن وليس لي مثلها إلف ولا سكن

فهذا التفاوت في المستوى المعيشي هو الذي جعل من الشاعر يسخط ويذم أهل عصره، ودفع به إلى العبث والمجون والبذاءة في شعره لأنه كان يرى نفسه غريبا لأنه لم يجد من يحسون بعوزه ومعاناته يقول[3]:

ترى العقيان كالذهب المصفى تركب فوق أشفار الدواب

وكيسي منه خلو مثل كفي أما هذا من العجب العجاب

– ويذكر الكاتب شعراء آخرون عاشوا في القرن الرابع للهجرة الذين عانوا من الفقر فانعكس على شعرهم شكوى وسخطا وتمردًا على القيم الاجتماعية والدينية وعلى لغة الشعر الرصين باستخدامهم

[1] الثعالبي، يتيمة الدهر، ج 3، ص 138.

[2] المرجع نفسه، ج 3، ص 138.

[3] المرجع نفسه، ج 3، ص 139.

اللغة السوقية والألفاظ البذيئة ومن بين هؤلاء الشعراء: ابن سكرة الهاشمي وابن الحجاج أبي عبد الله الحسن وأبو دلف الخزرجي[1].

- يقول ابن سكرة في وصف سوء حاله وأن الموت خير له

جملة أمري أنني مفلس وليس للمفلس إخوانُ

وكل ذي عيش بلا درهم فعيشه ظلم وعدوان

ويقول أيضا يعزي نفسه من شدة جوعه الذي يمكن سده برغيف يابس ما دام الخليفة يسوي بين الفقير والبائس وهو نقد وتمرد واضحين[2]:

الجوع يطرد بالرغيف اليابس فعلام تكثر حسرتي ووساوسي

والموت أنصف حين عدل قسمة بين الخليفة والفقير والبائس

فقد كان يتظاهر بالشبع حين كان يقصد القصور لسد جوعه موهنا البواب بأنه يبحث عن الدواء وكان ذلك المسعى ينتهي بصفعه يقول مصورًا هذه المأساة الضاحكة[3]:

تجشأت في وجه بوابه ليعرف شبعي فلا أُمنع

وقلت له: إن بي تخمة فهل من دواء لها ينفع

فلما نذرت بهم صاحبي ولاحت موائده أوجعوا

فراحوا بطانًا ذوي كظةٍ وأقبلت من أجلهم أصفع

- أما ابن الحجاج اتخذ من شعره وسيلة يُنَفّس به عن الناس كانوا يعانون من ضغوطات الحياة وفساد الأوضاع السياسية من خلال سخف شعره يقول في إحدى قصائده مفصحًا عن سبب

[1] المرجع نفسه، ج 3، ص 29.

[2] يتيمة الدهر، الثعالبي، ج 3، ص 33.

[3] المرجع نفسه، ص 21.

اختياره لهذا الشعر العابث السخيف وقد سمى نفسه نبي سخف لقوائم معجزاته أهل عصره السخفاء[1].

رجل يدعي النبوة في السخف ومن ذا يشك في الأنبياء

جاء بالمعجزات يدعو إليها فأجيبو يا معشر السخفاء

فسوء أوضاعه جعلته لا يأبه بالقيم والمجتمع ولا بالسلطة مما جعله ساخطا عليهم.

يقول في قصيدة ينتقد فيها عز الدولة البويهي عندما رأى كلابه تطعم اللحوم وهو لا يجد ما يأكله ويتمنى أن يضيفه عز الدولة إلى كلابه ليأكل ما تأكل[2].

رأيت كلاب مولانا وقوفًا ورابطةً على ظهر الطريق

تغذى بالجدا فودْتُ أني وحق الله خركوش سلوقي

فيا مولاي رافقني بكلبٍ لآكل كل يوم مع رفيقي

فهذه البذاءة في شعر هذا الشاعر تكشف عن حال هذه الطائفة من شعراء ق 4 هـ من ضنك العيش وفقر مدقع دفعهم إلى التمرد على أنماط السلطة ولم تكن السلطة تأبه لمعاناتهم[3].

ومن مواطن التجديد في هذا الشعر هو التمرد على المقدمة الطللية التي ظل الكثير من المعاصرين يحافظون عليها. ومن الشعراء الذين تمردوا على المقدمة الطللية أبو المخفف عاذر ابن شاكر البغدادي الذي اضطره عوزه إلى افتتاح شعره بوصف الخبز يقول في قصيدة[4]:

دع عنك رسم الديار ودع عنك حنات القفار

---

[1] المرجع نفسه، ص 37.

[2] المرجع نفسه، ص 67.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين، ص 175.

[4] يتيمة الدهر، الثعالبي، ج 3، ص 62.

وصف رغيفًا سريًا حكته شمس النهار

– أما أبو دلف الخزرجي له قصيدة تكشف عن لغة المكدين وهي أشهر قصيدة تسمى الساسانية وهي تماثل حكاية أبي المطهر الأزدي المعروفة بحكاية أبي قاسم البغدادي[1] في وصف الأخلاق، الأوباش، وتحكيان ألفاظهم، وفسر الصاحب بن عياد قصيدة أبي دلف الخزرجي ومصطلحاتها السوقية الساسانه، فمضمون هذه القصيدة ومصطلحاتها خرجت عن المألوف في التمرد على القيم الاجتماعية والدينية وعلى لغة الشعر الرصين بما فيها من سخف وبذاءة في مصطلحات الساسانيين*[2].

وعنوان القصيدة يؤكد تحزب الشاعر وشعوبيته بدليل أنها توحي إلى أصله الفارسي إضافة إلى توظيفه بذيء المصطلحات ودنيئها إقتداءً بمجون الفرس وفحشهم.

[1] أنظر أبي المطهر الأزدي، محمد بن أحمد، حكاية أبي قاسم البغدادي، مطبعة كرل وتتر هيد لبرج، 1902 ونشرت حديث بعنوان الرسالة البغدادية معزوة لابن حيان التوحيدي، منشورات الجمل بيروت، 1997. نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين، ص 177.

* **الساسانيين**: هو الإسم الذي استعمل للإمبراطورية الفارسية الثانية والتي يرجع تسمية الساسانيين إلى الكاهن الزرداشتي ساسان الذي كان جد أول ملوك الساسانيين أردشير الأول. Ar. m. Wikipédia. Org.

[2] أنظر القصيدة الساسانية وشرحها في الثعالبي، يتيمة الدهر، ج 3، ص 345- 346.

أهم النقاط التي مرت في هذا الفصل:

بروز طائفة من الشعراء المعوزين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى من عمر الدولة العباسية، من بينهم أبو دلامة، أبو الشمقمق، أبو العجل، ابن لنكَكْ... وغيرهم من الشعراء المعوزين.

- أسباب تمردهم يعود إلى سوء معيشتهم وفقرهم المدقع.
- تمرد الشعراء المعوزين والسخط على السلطة السياسية التي لم تأبه بأوضاعهم الاجتماعية.
- شعرهم يحمل شكوى مريرة ومدى معاناتهم وقساوة عيشهم.
- خروجهم عن الثوابت الدينية والقيم والأعراف الإجتماعية.
- سوقية وبذاءة أشعارهم وتمردهم على لغة الشعر الرصين.

الفصل الخامس

المتنبي وضريبة التمرد

المتنبي وضريبة التمرد

يقف الكاتب في هذا البحث عند شاعر آخر وهو المتنبي في البحث عن الأسباب التي أدت إلى مقتل هذا الشاعر سنة 354 هـ.

بعد وقوف المؤلف على مجموعة من الأخبار حول مقتل المتنبي الذي دفع حياته ثمنا بسبب سخطه على حكام زمانه والأعاجم وأهل عصره الذين كانو يتعبدون هؤلاء الحكام. ومن الباحثين الذين بحثوا في إشكالية مقتل المتنبي محمود محمد شاكر الذي يرى أن كافور الاخشيدي هو المدبر لهذه المؤامرة مع عضد الدولة وقام بنو ضبة وبنو أسد بتنفيذها[1].

إتباعًا لما قاله السيوطي: "وسبب قتله أنه –المتنبي– كان يركب في جماعة من مماليكه فتوهم منه كاخوه فجفاه، فخاف المتنبي، وهرب، فأرسل كافور في أثره فأعجزه فقيل كافور: ما قيمة هذا حتى تتوهم منه؟

فقال هذا رجل أراد أن يكون نبيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهلا يروم أن يكون ملكًا بديار مصر فدس إليه من يقتله[2].

أما عبد الوهاب عزام لجأ إلى ما رواه بعض المؤرخين وشراح ديوان المتنبي، بأن فاتكا الأسدي هو الذي قتل الشاعر عقابًا على القصيدة التي هجا فيها بني ضبة والتي مطلعها:

ما أنصف القوم ضبة وأمه الطرطُبة[3]

ويرى طه حسين أن القرامطة هم الذين قتلوا المتنبي لارتداده على عقيدته القرمطية[1].

---

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 182- 183.

[2] السيوطي جلال الدين: حسن المحاضرة 1: 268 وانظر في الحاشية 1، ص 446 من كتاب: د. ر. بلاشير، أبو الطيب المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975 نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 184.

[3] أنظر في هذا كله: عبد الوهاب العزام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام، ط 2، دار المعرف، بمصر، 1956، ص 190- 208. نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 184.

ويسعى صاحب هذا البحث بالإضافة إلى مصادر تاريخية أخرى إلى مناقشة هذه القضية بالاعتماد على أشعار المتنبي ويستخلص منها أن عضد الدولة البويهي هو من دبر لقتل هذا الشاعر ويرى أنه ليس للقرامطة وكافور الاخشيدي صلة بموته[2].

علاقة المتنبي مع عضد الدولة

يلحظ الكاتب من خلال سيرة المتنبي وأشعاره شيئين هما: إحساسه بعروبته وسعيه إلى المجد، اللذان نجم عنهما كرهه للأعاجم وكثرة أسفاره بين العراق والشام ومصر وفارس لتحقيق حلمه بإسقاط دولة الأعاجم والخدام[3]. ويقول في إحدى قصائده التي كان نظمها في صباه[4]:

سيصحب النصل مني مثل مضربة وينجلي خبري عن صمته الصّمم

لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالأن أقحم حتى لا نُقْتَحَمَ

بكل منصلتٍ ما زال منتظري حتى أدْلَتُ له من دولة الخدم

يعرفه جرجي زيدان: هو أبو الطيب أحمد بن الحسين، بن عبد الصمد الجعفي الكندي، وبنو جعفي بطن من سعد العشيرة من القحطانية، فهو عريق بالعروبة ولد في الكوفة سنة 303هـ، في محلة تسمى كندة فنسب إليها وليس هو من كندة القبيلة المعروفة، وكان أبوه من عامة الناس يسقي الناس ويسمونه "عبدان السقاء"، لكن أبا الطيب نشأ على طلب العلم والأدب وكان قوي الحافظة مطبوعًا على الشعر، فلما ترعرع حمله أبوه إلى الشام ينتقل به من باديتها إلى حاضرتها وأخذ العلم من

[1] ينظر: طه حسين مع المتنبي، د. ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 45، 375.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 184.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 185.

[4] اليزجي ناصيف، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، دار القلم بيروت، ص 32 نقلا عن ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 185.

أصحابه، فمر أولا باللغة فحفظ غريبها وحوشيها، وأشعار الجاهلية وغيرهم واشتهر بالفصاحة والبلاغة[1].

– شهد القرن الرابع الهجري في نصفه الأول ضعفًا في سلطة الخلافة العباسية مما نجم عنه نشوء إمارات كثيرة على حواشيها أشهرها الإماراة البويهية الديلمية الإمامية المذهب في فارس والعراق والإمارة الأخشيدية التركية السنية في مصر وبلاد الشام والإمارة الحمدانية التغلبيية العربية الامامية في حلب والموصل وأنطاكيه ومنيح، وظهور الدولة الفاطمية الإسماعلية المذهب والمعتقد.

وكان القرامطة العلويون في البحرين يغزون على العراق والشام وسفك الدماء في مكة ... وهذا دليل على فساد المجتمع الذي عاش فيه المتنبي وتفضيله دولة سيف الدولة الحمداني[2].

يقول في إحدى قصائده مبرزًا إعجابه بهذا الأمير وسخطه على سواه من الملوك يقول فيها[3]:

ليس إلاك يا عليُّ همام سيفه دون عرضه مسلولُ

كيف لا تأمنُ العراق مصرٌ وسرياك دونها والخيولُ

ودرى من أعزه الدفع عنه فيهما أنه الحقير الذليل

أنت طول الحياة للروم غازٍ فمتى الوعد أن يكون القفول

فحب المتنبي لسيف الدولة وتفضيله على سواه من الحكام الذين كانو غارقين في ملذات الحياة ظل هاجسه طلب المجد الذي كان يحلم به يقول[4]:

أطاعن خيلًا من فوارسه الدهرُ وحيدًا وما قولي كذا ومعي الصبر

[1] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 665.

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 186.

[3] العرف، ص 456: نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 187.

[4] المرجع نفسه، ص 195: نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 187.

ولا تحسبن المجد رقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة

ويقول في سخط شديد على أهل عصره[1]:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول مالثموا مُرْدُ

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دُعوا كثيرًا إذا اشتدُوا قليل إذا عُدوا

إذا شئت خفت بي على كل سابحٍ رجال كأن الموت في قمها شهْد

وفي قصيدة أخرى نجده يذم زمانه وأهله يقول فيها[2]:

أذم إلى هذا الزمان أهليه فأعظمهم قَدْم وأحزمهم

وأكرمهم كلب وأبصرهم عم وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد

-كان المتنبي متمسكا بأرائه وأقواله منذ صباه إلى أن انتقل؛ فقد كثر أعداؤه والناقصون عليه، وسجن وهو لم يتجاوز سن العشرين في الشمان بعد خروجه من العراق.

ويرى الكاتب أن المتنبي تعرض لمحاولتي إغتيال الأولى على يد غلمان أبي العشائر والثانية على يد أحد عبيده، ورغم ذلك ينتقد ويذم ملوك عصره والناس الذين رضوا أن يحمهم حكماء جبناء[3].

يقول في مقايسة عنهم وعن نفسه ممتدحًا في صدر قصيدته عربيًا من عجل يقول[4]:

فؤاد ما تسليه المُدام وعمر مثل ما تهب اللئام

[1] المرجع نفسه ص 20، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 188.

[2] ديوان المتنبي بشرح العبكري ج 1، ص 273- 274 نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 189.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 189.

[4] نفس المرجع السابق ج 2: 292 نقلا عن قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 190، 191.

ودهر ناسه صغار وإن كنت لهم جثث ضخام

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدِنُ الذهب الرغام

أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام

يرى فالح نصيف أن المتنبي مقدم على كل شيء في الرسن لعدم نيله ما يختلج في نفسه من آمانيه الواسعة وتمرد على دهره وعلى المجتمع والظلم الاجتماعي المخيم على الناس في حينه ويعود ذلك إلى نفسه المجبولة على التمرد والثورة وحبه لذاته وإعجابه المتغطرس بنفسه المتعالية[1].

يرى الكاتب أن المتنبي ازداد سخطه على الأعاجم بعد أن خاب مسعاه في كافور الأخشيدي يقول في قصيدة يصب غضبه على الأعاجم وعلى المصرين لأنهم رضوا أن يطغى العديد على بلدهم[2].

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد يشْمن وما تَفْنَى العناقيد

العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود

ويقول في أخرى يصف خيته في صحبة الملوك وكافور ولومه نفسه على تركه سيف الدولة[3]:

أريد من الأيام ما لا يريده سواي ولا يجري بخاطره فكرًا

صحبت ملوك الأرض مغتبطا بهم وفارقتهم ملًا من حذف الصدر

ولما رأيت العبد للحر مالكًا أبيت إباء الحر مسترزقًا

[1] فالح نصيف الحجية الكيلاني. موسوعة شعراء العربية، شعراء العصر العباسي، م 4، ج 2، ص 458.

[2] العرف، ص 549. نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 192.

[3] المرجع نفسه ص 646- 647.

ومصرُ لعمري أهل كل عجيبة ولا مثل ذا المخصمي أعجوبة بكْرا

وفارقت خير الناس قاصدا شرهم وأكرمهم طرلأ لأمهم طرا

ويؤيد العديد من المؤلفين الكاتب في خيبة المتنبي في صحبة كافور الأخشيدي منهم أحمد فاضل يقول إن المتنبي خرج من حلب وقصد دمشق ومنها انتقل إلى مصر ونزل على كافور الإخشيدي... وكانت نفس الشاعر تطمح إلى ولاية ينالها من كافور ومن أجل هذه الغاية قصد مصر ومدح كافورًا، وعندما شعر أن آماله لن تتحقق وأن كافورا يماطل ويناور وأنه يراقبه ويترصد تحركاته فأخذ يعد العدة للرحيل. وجاءت مناسبة عيد الأضحى فاشتغل المتنبي انهماك كافور، فر هاربا تاركًا وراءه قصيدته الهجائية في كافور والعبيد والمصريين "عيد يأية حال عدت يا عيد"[1].

ويقول شوقي ضيف: من أهم ما يميز المتنبي أنه لا يستطيع أن يخفي ما يضطرب في دخائل نفسه. ولم يكن يؤذيه في كافور أنه حبشي فحسب بل كان يؤذيه منه أيضا أنه كان يماطله فيما مناه من بعض الولايات، وعلى نحو ما وجد عنده من به كان هو الأخر يقابل مكره بمكر فني. فكان يسوق إليه كثيرًا من الأبيات الموجهة التي يمكن أن تحمل على الذم والمدح... ولا يلبث أن يهجو كافورًا ويفر في عيد الأضحى، وشعره في كافور مدحًا وهجاء يفيض بالثورة على الزمن والتشاؤم الشديد وقد ظل يذكر فردوسه المفقود ويحن إلى سيف الدولة[2].

– ويرى حنا الفاخوري أن المتنبي عندنا رأى أن أحلامه لن تتحقق وشعوره بمكر العبد الأسود (كافور) انحاز إلى قائد أخشيدي فاتك ولقى منه حسن إلتفات وإخلاص ومودة إلا أن الحظ لم يمتعه به طويلًا، فمات فالك وعزم المتنبي أن ولكن كافو منعه خوفًا من لسانه وهجاءه وفي سنة 962

[1] أحمد الفاضل، تاريخ وعصور الأدب العربي، ط 1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 2003، ص.

[2] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 308.

سنحت الفرصة فهرب المتنبي وهجا كافورًا هجاءً ضمنه كا ما في نفسه من حرارة واحتقار لذلك العبد الماكر وفي قصيدة شهيرة له عدد فيها الأماكن التي مر بها وختمها بهجاء كافور ومطلعها [1]:

ألا كلُّ ماشية الخَيْر لي فدى ماشية الهَيْذَبَى

– ويرى فالح نصيف الحجية أيضا أن الأخشيد وعده بالولاية أن قدم هو إليهم فذهب إليهم ومدح كافورًا الأخشيدي الذي كان أميرًا على رأس الولاية الإخشيدية في مصر يقول :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجائت بن إنسان عين زمانه وخلت بياضًا خلفها ومآقيها

ولما يئس من حصوله عما يريد، عزم على السفر فلم يأذن له كافور في سفره وشدد عليه، إلا أنه استطاع مغادرة مصر خلسة والناس منشغلون بأفراح عيد الأضحى وقال في قصيدته الشهيرة يهجو فيها كافورا الإخشيدي وحاشيته والتي كان مطلعها:

عبد بأي عدت يا عيد بما مضى لأمر فيك تجديد[2]

أما الأحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيدًا دونها بيد

والملاحظ هنا تمرد أبي الطيب المتنبي على كافور الإخشيدي وسخطه عليه وهجائه بعد أن خاب مسعاه في اعتلاء ولاية من الولايات.

كان أخر ملك مدحه المتنبي هو عضد الدولة البويهي فتخاسروا خصم بني حمدان أمير العرب، كما سماه المتنبي في إحدى قصائده سنة 353هـ[3].

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 610- 611.

[2] فالح نصيف الحجية الكيلاني، موسوعة شعراء العربي، شعراء العصر العباسي، م 4، ج 2، ص 464، 465.

[3] العرف الطبيب، ص 466، نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 193.

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعًا لأمر أمير العرب

– بعد هروبه من مصر إلى العراق نزل في الكوفة سنة 351 وأقام فيها ثلاث سنوات وأبرز حدث وقع في هذه السنوات الثلاثة وهو هجاء لبني ضبة العيني الذي له صلة بمقتله. يقول:

ما أنصف القوم ضبة وأمه الطرَطُبَة[1]

وحاول بعض أنصار المتنبي القدماء تبرئية من هذه القصيدة يقول ابن جني:

"ورأيته وقد قرأت عليه هذه القصيدة وهو ينكر إنشادها"[2].

ومن المحدثين محمود محمد شاكر: أنكر هذه القصيدة قال: "أما ما يروونه من السخف في حكاية مقتله بسبب القصيدة التي أولها:

ما أنصف القوم ضبة وأمه الطرطبة

وإنما قلت ما قلتُ رحمة لا محبة[3]

ولما ذهب إلى بغداد رفض أن يمدح كل من الخليفة المطيع ومعز الدولة البويصي والوزير الملصي، غير أنه مدح كبار الأدباء والوزراء البويهين في فارس هو ابن العميد سنة 354 الذي كان سبيله إلى عضد الدولة بعد إنتهاء زيارته له، ومحاولة عضد الدولة اغتنام الفرصة لكي يحظى بمدائحه. وقام بالترحيب به وأرسل وفدًا لاستقباله[4] "وهو على أربعة فراسخ من شيراز: استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ".

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 193.

[2] ابن جني، الفسر، م 2، ص 634 نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 193.

[3] المقتطف: يناير 1936. ص 167 نقلا عن ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 194.

[4] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 194، 195- 196.

اشتشد الصباغ الشاعر "فقال المتنبي: الناس يناشدون فاسمعه، فأخبر أبا عمر أنه رسم له لذلك عن المجلس العالي فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها"[1] والتي مطلعها:

ألا كل ماشية الخَيْزَ لي فدى كل ماشية الهيْذبَى

ولما رجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة، أخبره بما جرى، وأنشده بيان من كلمته وهي[2]:

فلما أنخنا ركزنا الرماح بين مكارمنا والعلى

وتبنا نقبل أسيافنا ونمسحها من دماء العدى

لتعلم مصر ومن بالعرق ومن العواصم أني الفتى

وأني وفيت وأني أبيت وأني عتوت على من عتا

ويلاحظ الكاتب في إختيار المتنبي لهذه القصيدة وما تحمله من تهديد لعضد الدولة على أن العلاقة بينهم ستكون قائمة على الخداع والمراوغة، ويرد عضد الدولة على هذه الأبيات معلقًا: "هو ذا يتهدد فالمتنبي" أو قال: "هونا... يتهددنا المتنبي"[3] تهديدًا أيضًا للمتنبي.

– وبقي المتنبي ثلاثة أشهر في ضيافة عضد الدولة ولقي إهتمامًا وإحترامًا ومنحه مكافآت سخية بعد أن أنشده قصيدته الأولى[4].

[1] الواضح، ص 20، نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 196.

[2] خزانة الأدب، المجلد 2، ص 216– 217، المقتطف، المجلد 88، العدد 1، سنة 1936، ص 161 ذكرى أبو الطيب، ص 185. نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 196.

[3] الواضح، ص 21، خزانة الأدب، م 2، ص 317، نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 198.

[4] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 197.

شعر المتنبي في عضد الدولة

نظم المتنبي سبع قصائد وأرجوزة طردية مدح فيه عضد الدولة. وأول قصيدة نظمها المتنبي هي قصيدة شعب بوان ومطلع القصيدة

مغاني الشعب طيبًا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

سيتوقف الكاتب في هذه جملة من الأمور، الأمر الأول هو نجد الشاعر في الجزء الأول من القصيدة يثير قدراته الفنية العجيبة في وصف شعب بوان في لوحة فنية حين قال:

وأمواه تصلُ بها حصاها صليل الحَلْي في أيدي الغواني

ويقول في تعبير كاشف عن هيامه بهذا الشعب وسحر مكانه وخشية أن تحزن خيولهم:

طبت فرسانها والخيل حتى خشيت وإن كَرُمْنَ من العدان

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطعان؟

والأمر ثاني هو تلميح الشاعر في هذا الجزء من القصيدة إلى المفارقة بين القيم العربية والقيم الفارسية في كرم الضيافة، ويصور ذلك في بيته التالي:

ولو كانت دمشق ثنى عناني لبيق الثَرْدِ صينيُّ الجِفَانِ[1]

قال الواحدي في بيان لهذا البيت: "لثنى عناني إليه رجل تريده لبيق، وجفانه صينية، يعني لأضافة هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان، لأنهما من بلاد العرب وهذا الشعب من بلاد العجم"[2].

وهذا ما يكشف عن انحياز الشاعر لعروبته والاعتزاز بها ويقيمها. التي كان ضئيلة في قيم الفرس.

أما البيت الرابع يقوم باسترجاع ذكرياته ووحشته وغربته في أرض النوبنجان يقول:

[1] ينظر المصدر نفسه، ص 198، 199.

[2] العكبري، 4، ص 254. نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 200.

منازل لم يزل منها خيالٌ يشيعني إلى النَّوْبنْذجاني[1]

والأمر الثالث هو الخفوت الفني في التصوير الجميل في أبيات الجزء الثاني من هذه القصيدة فيما قاله في عضد الدولة.

فقلت إذا رأيت أبا شجاع سلوت عن العباد وذا المكان

فإن الناسه والدنيا طريقٌ إلى من ماله في الناس ثان

لقد علمتُ نفسي القول فيهم كتعليم الطراد بلا سنان

فما يُسْمى كفنا خسر مُسْم ولا يُكْفى كفنّا خسْر كان[2]

2. والقصيدة الثانية: هي التي مطلعها[3]:

أواه بديل من قولتي واها لمن نأت والبديل ذكراها

أوْه من لا أرى محاسنها وأصْلُ واها وأواب مرآها

شامية طالما خلوت بها تبصرُ في ناظري مُحَياها

ويقول بعد ذلك:

أحب حمصًا إلى حناصرةٍ وكل نفس تحب محياها

حيث التقى خدها وتفاح لبنان وثغري على محياها

[1] العرف، ص 592. نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص

[2] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 200، 201.

[3] الشكعة، أبو الطيب في مصر، 414، وأنظر 156- 517 أيضا: نقلًا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 201.

وصفت فيها مصيف بادية شتوت بالصحصحان مشتاها

يلاحظ الكاتب من هذه القصيدة تعلق الشاعر وحنينه إلى الشام من خلال استرجاع ذكرياته في أراض الشام.

وتكرار لفظي (أوه، واها) دليل على ضيق الشاعر وعدم انسجامه مع من حوله، ويعود إلى النظم الجميل.

يقول:

ومن منایاهم براحته يأمرها فيهم وينهاها

أبا شجاع بفارس عضد الدولة فناخسْر شهِنْشاها

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذّة ذكرناها[1]

– وختم هذه القصيدة باسم لفظ الجلالة :

الناس كالعابدين آلهةٌ وعبده كالموحد اللهَ

3. مدح المتنبي عضد الدولة في قصديتين أخريين أثنى فيهما على شجاعته وانتصاره على هشوذان الكردي[2]:

يلاحظ الكاتب من خلال القصديتين وقوف الشاعر على الأطلال وذكره بعض مفردات البادية العربية التي كان يعشقها ويسعى للمحافظة عليها.

يقول:

إثلث فإنا أيها الطلل نبكي وتُرْزِمُ تحتنا الإبلُ

[1] بنظر: نفس المصدر السابق، ص 202- 203.

[2] ينظر: العرق ث 596- 601: نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 203.

أوْلا فلا عتبٌ عل كللٍ إن الطولَ لمثلها فعل

وفي القصيدة الثانية نجده يتغنى بطيف محبوبته.

يقول:

أزائرٌ يا خيالُ أمِ عائده أم عند مولاك أنني راقدْ

يا طفلة الكف عَبْلَة الساعدْ على البعير المقلد الواخذْ

حَكَيْتَ يا ليلُ فرْعها الواردْ فاحك نواها الجفني الساهدْ

– تدل هذه الأبيات على ما كان يعانيه الشاعر قبل مدح عضد الدولة في هذه القصيدة وعدم إخلاصه لممدوحه.

4. **ونظم سبعة أبيات أنشدها بين يدي عضد الدولة في يوم الجلسان**[1].

وهو أحد أعياد الفرس تنثر فيه الورود بين يدي ملكهم، ومطلع الأبيك:

قد صدق الوردُ في الذي زعما أنك حيرْتَ نظِمه ديما

كأنما مائجُ الهواءِ به بحرٌ حوَى مِثلَ مائِه عنما

5. **ونظم مرثية في عمة عضد الدولة وفيها يعزيه**[2]:

آخِرُ ما المَلْكُ معزى به هو الذي أثر في قلبه

لا جزعًا بل أنفاشا به أن يقدر الدهر على غضبه

لو درت الدنيا بما عنده لاستحيت الأيام من عتبه

[1] المرجع نفسه، ص 607. نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 203.

[2] المرجع نفسه ص 608، العكبري، 1، 210 نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 205.

– ويخلص الشاعر في هذه المرثية بحكمة فلسفية وجودية يقول فيها.

لابد للإنسان من ضجعةٍ لا تقلبُ المضجِع عن جنبه

ينسى بها ما كان من عجبه وما أذاق الموت من كربة

فنحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لابد من شربه

يموت راعي الضأن في جهْله ميتة جالينوس في طيه

6. ومدح المتنبي عضد الدولة بأرجوزة: مطلعها قوله[1]:

ما أجدر الأيام والليالي بأن تقوله ماله ومالي

ففي الأبيات القمة الأولى من الأرجوزة يفتخر الشاعر بنفسه ثم يمدح مهارة عضد الدولة في الحرب والصيد وتوظيفه للألفاظ الغريبة حرصا على سن العرجاز العرب وإظهار قدراته اللغوية الغريبة واعتزازه بها أمام.

7. **وأخر قصيدة نظمها في حياته نظمها ليودع عضد الدولة وعودته إلى أهله في الكوفة:** مطلعها[2]:

فدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملِكٌ إذن إلا فَداكا

ويرصد الكاتب الملاحظات التالية عليها: هي:

أ. **استهل الشاعر قصيدته بالمدح** والتي لم تكن في أي من القصائد السبع الأولى.

ب. **تعظيم المتنبي تعظيمًا كبيرًا غير مسبوق في قصائده الأخريات بعضد الدولة.**

[1] العرف، ص 611: نقلا عن ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 206.

[2] العكبري، 2، 390. نقلا عن ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 207، 208–209.

بما فيها من حنات وتنازع أشواقه بين الرغبة في العودة إلى أهله في الكوفة والبقاء بجانب ممدوحه. يقول في هذا التنازع.

أرى أسفي وما سرنا بعيدًا فكيف إذا عند السير ابْتِراكا

وهذا الشوق قبلِ البين سيفٌ فها أنا ما ضَرَبْتُ وقد أُحاكا

إذا التوديعُ أعرضَ قال قلبي عليك الصمت لا صاحبْتَ فاكا

وكم دون الثوية من حزين يقول له قد وهي ذا بذاكا

ج. كان حجم المدح في هذه القصيدة أقل من حجم القول في الوداع:

فقد قام المتنبي تسوية بينه وبين ممدوحه غير ما جعل المتنبي من شعره رفيع المستوى كرفعة ممدوحه حين قال في البيتين الدالين على هذا المعنى.

وكم طرب المسامع ليس يدري أيعجب من ثنائي أم علاكًا

وذاك المشْرُ عرضك كان مسكا وذاك الشعر فهري المذاكا

د. ووردت قبيل خاتمة هذه المدحة الطويلة الأبيات الثلاث التالية:

وأنى شئتَ يا طُرُقي فكوني أذاة أو نجاة أو هلاكاً

يشردُ يُمْنُ فنّا خسر عني قنا الأعداء والطعن الدّراكا

وأليس من رضاه في طريقي سلاحًا يذعر الأبطال شاكًا

– تدعو هذه الأبيات على التساؤلات التالية : أي أعداء كان الشاعر يتخوف منهم؟ وأي الأبطال كان يمن عضد الدولة سيشردهم عنه ويرد طعونهم دونه؟ وما الذي جعله يفترض أن طريقه ستكون نهايتها بالهلاك؟[1]

فقد أحس كل من ابن جني والواحدي والثعالبي والعكبري[2] أن المتنبي كان يشعر بأن خطرًا ينتظره في طريق عودته.

– أما الكاتب فيرى أن مدح المتنبي لأمن عضد الدولة هو إحساسه بالغدر من طرف عضد الدولة انتقامًا له بسبب ازدراء المتنبي لحكام الأعاجم وقوله في إحدى قصائده أنه يتمنى أن يقتلوا :

وما سكني سوى قتْل الأعادي فهل من رؤْرةٍ تشفي القلوبا

– فالشاعر وممدوحه أن هذه المدائح التي نظمت ليست كمدائح المتنبي في سيف الدولة الحمداني، إلا أنها كافية في تخليد ذِكر عضد الدولة التي كان يسعى إليها.

وذكر أنه (وصله بثلاثة ألاف دينار وثلاثة أغراس مسرحة محلاة) مكافأة له وقيل أنه بعد أن وهب المتنبي (دس إلى المتنبي من يسأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟) فأجاب المتنبي: (إن سيف الدولة كان يعطي طبعًا وعضد الدولة يعطي تطبعًا)[3] ولما بلغ جواب المتنبي عضد الدولة غضبة وجهز إليه قوما من بني ضبة فقتلوه[4].

– ويذكر ابن الجوزي في المنتظم ثلاثة أقوال في مقتل المتنبي :

–" الأول : هو أنه كان معه مال كثير فقتله العرب لأخذ ماله... واسم قاتله فاتك ابن أبي الجهل الأسدي.

---

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 209.

[2] ابن جني "الفسر" حققه رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، المجلد 2، ص 634، شرح الواحدي، ص 800 العبكري 2، ص 385، الصبح المنبي، ص 166، 167، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 210.

[3] الصبح المنبي ص 174: نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 211

[4] الواضح، ص 25، خزانة الأدب 2، ص 318، نقلا عن: قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 211.

– **الثاني** : أن سبب قتله كلمة قالها عند عضد الدولة فدس إليه من قتله.

وذكر مظفر ابن علي الكاتب قال: اجتمعت برجل من بني ضبة يكنى أبا رشيد ذكر أن المتنبي قد وقد على عضد الدولة وهو بشيراز... فأكرمه ووصله بثلاثة ألاف دينار... ثم دس عليه من يسأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة بن حمدان؟ فقال المتنبي هذا أجزل إلا أنه عطاء متكلف. وكان سيف الدولة يعطي طبعًا. فاغناظ عضد الدولة... وأذن لقوم من بني ضبة في قتله إذا انصرف...

– **الثالث** : أن المتنبي هجم على ضبة الأسدي فقال :

ما أصنف القوم ضبة وأمه الطرطبة

فبلغته، فأقام في الطريق من قتله... وكان ضبة يقطع الطريق"[1]

يرى فالح نصيف أن المتنبي جمع بين الشعر والعاطفة والحكمة والخيال والعلم واللغة والبلاغة وروحه الشعرية شذية فواحة غلابة وكانت عواطفه هي الدم في جسده قصائده فكسبتها الحياة الأبدية والروعة والجمال والكمال فهو ذو شاعرية فريده وهو شاعر العربية... وقد سار شعره في الأفاق وذلك يعود إلى سببين:

الأول: رعاية الملوك والأمراء له وعنايتهم به وبشعره الذي خلدهم يمدحه.

والثاني: قوة شاعريته وتطلعه في اللغة والأدب.

وكان شعره تصويرًا لحياة عصره وما فيه ومن أهم الأغراض التي قال فيها وأكثره هي المديح والفخر حيث مدح عددًا من الأمراء والقادة وخص مدحه سيف الدولة الحمداني ثم كافور الإحشيدي ثم مدح ابن العميد ثم عضد الدولة بشيراز.

[1] ابن الجوزي/ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ت 597: المنتظم، تحقيق محمد عبد القادر عطا مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج 14، ص 165.

وابن الكثير الدمشقي: البداية والنهاية. تحقيق أحمد عبد الوهاب فيتيح، ط 1، دار الحديث، القاهرة، 1992، م 11، ص 273. نقلا عن: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص.

أما الوصف فقد وصفه معارك سيف الدولة وقد اشترك ووصف شعب بوان أما قوله في الهجاء فكان قليلا إلا أن هجاه مقذعًا كما مر بنا من هجاء كافور أو هجاء الطرطبة.

أما حكمته وإنشاده شعر الحكمة ضمن قصائده فكثير منه قوله.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

أما قوله في الحب والشوق والغزل وقال أجمل قصائد الغزل وكذلك في مقدمات بعض قصائده[1].

– جرجي زيدان فيرى أن شعره في الدرجة الأولى من المتانة والبلاغة، وهو مشهور بضخامة المعاني ومتانة المباني، ولم يدع بابًا من أبواب الشعر إلا طرقه وأجاد فيه وخصوصًا الحكم والحماسة والمديح والفخر والعتاب... ويرى ابن رشيق أن أبا الطيب كان يأتي بالمستغرب ليبين معرفته، وأنه كان في طبعه غلط وفي عتابه شدة وأنه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والأنفة[2].

– ويرى طه حسين من شعره في عضد الدولة لتطرق المتنبي إلى أكثر فتون الشعر من المدح والوصف والسياسية والرثاء والطرد، ويرى أنه لم يتعمق شعره سياسة عضد الدولة كما تعمق في سياسة سيف الدولة وسياسة كافور وأنه أتقن وصف الطبيعة كما أتقنه في وصف شعب بوان أما في أرجوزته في عضد الدولة أخذت بحظ الخصب والغزارة، والسهولة والجزالة والاندفاع معًا[3].

– ويرى طه حسين أمن خلال شعر المتنبي تحرره من القيود التي يأخذ الشعراء بها أنفسهم في نظم القصيدة، فهو ينسب حينًا ويصف حينًا ويتغنى دائمًا في أوائل قصائده في عضد الدولة[4].

– يلاحظ الكاتب من هذه القرائن التاريخية وشعر المتنبي وازدرائه لحكام الأعاجم وانحيازه لسيف الدولة، تثبت أن عضد الدولة هو المدير لهذه المؤامرة في قتل هذا الشاعر باستغلاله للقصيدة التي هجا

[1] فالح نصيف الحجية الكيلاني، موسوعة شعراء العربية، العصر العباسي، م 4، ج 2، ص 469- 470- 171.

[2] جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ص 667، 668.

[3] طه حسين، مع المتنبي، د. ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 306، 308.

[4] المرجع نفسه، ص 310.

فيها المتنبي بني ضبة، حين أبلغ فاتاكا الأسدي أو غيره من اللصوص عن موعد خروج المتنبي وما يحمله من أموال لقتله خارج حدود مملكته فقتلوا الشاعر ومن كان معه ونهبوا أمواله[1].

والدليل على أن عضد الدولة هو المدبر لهذه الجريمة من خلال قصيدة الشاعر ثابت بن إبراهيم في رثاء المتنبي، ويحرض عضد الدولة على الانتقام من قاتلي ضيفه[2]:

يأيها الملك المؤيَّدُ دعوة عمن حشاه بالأسى يتوقَّدُ

هذي بن أسدٍ بضيفك أوقعت وحوت عطاءك إذ حواه الفرقد

وله عليك بقصده يا ذا العلى حق النجوم والذمام الأوكدُ

فارْعَ الذمام وكن لضيفك طالبا إن الذمام على الكريم مؤيد

لكن عضد الدولة لم يحرك ساكنا ولم يتعقبه أولئك القتلة.

– أما أن يكون كافو والأخشيدي علاقة بموت الشاعر والمدبر لهذه الجريمة على ما ذهب إليه محمود محمد شاكر ليس له علاقة بمقتل المتنبي[3].

– وأيضا أن يكون للقرامطة يد في قتل المتنبي على ما ذهب إليه طه حسين[4] غير صحيح لأن المتنبي اعتنق هذا المذهب اعتنق هذا المذهب في صباه وشبابه الأول منه قول المتنبي :

إلى أي حين أنت في زي محرم وحتى متى في شقوة وإلى كمِ

وإلا تمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاس الذل غير مكرم

فشب واثقاً بالله وثية واثق يرى الموت في الهيجا جنى النحل في الفم

[1] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 212، 213.

[2] الصبح، ص 158. نقلا عن المصدر السابق، ص 213- 214.

[3] ينظر: ياسين عايش خليل، قراءات في تمرد الشعراء العباسين على السلطة، ص 213.

[4] انظر: طه حسين، مع المتنبي، ص 45، 375.

- وأبرز من رد على رأي طه حسين محمود محمد شاكر.

والملاحظ أن الكاتب في هذا الفصل ركز على مقتل المتنبي باحثا عن الأسباب وراء قتله، ما يؤكد أن قلم الشاعر وأبيات شعره قد تكون سببًا في قتله هو تمرده في الشعر وهجائه للأمراء مما عجل بوفاته.

وقوفه على مجموعة من الأخبار:

- انحياز المتنبي إلى عروبته والسعي إلى المجد.
- سخطه الشديد على الأعاجم وذمه أهل وملوك عصره مثل الأخشيدي.
- حرص عضد الدولة على مجيء المتنبي ليحظى بمدائحه ليخلد بها ذكره.
- مدح المتنبي عضد الدولة حيث نظم سبع قصائد وأرجوزة يمتدحه فيها خلال الثلاثة أشهر التي بقي فيها في ضيافة عضد الدولة.
- استغلال عضد الدولة قصيدة المتنبي في هجاء ضبة وتدبيره مؤامرة لقتله. بعد خروجه من شيراز.
- مقتل المتنبي في البيداء نتيجة هجومه على السلطة الحاكمة وهجائه لها ووقوفه ندًا بكبريائه وغروره وطمعه في الولاية.

نقد وتقويم

نقد وتقويم:

– مواءمة عنوان الكتاب للمحتوى وذلك من خلال رصد الكاتب الى تمرد الشعراء العباسين على أشكال السلطة السياسية والاجتماعية والدينية والفنية فقد وقف الكاتب على تمرد بشار بن برد على أشكال السلطة في شعره فإيمان بشار بن برد بقدراته الإبداعية وموقفه من الحياة جعلته يتصادم مع أنماط السلطة والتحرر من القيود في فضاء الإبداع مما جعل دعاة الأخلاق والدين والسلطة يتعقبونه لخطورة شعره في الغزل الماجن وهجاءه اللاذع الذي تعرض فيه إلى السلطة، كما وقف أيضًا على تمرد أبي نواس من خلال ضيقه من القيود والاضطهاد الذي كان يعيشه هو الذي ولد روح التمرد مما شكل شعره خطورة على السلطة السياسية من خلال سخطه على السلطة بما كانت تظهره من صلاح وتدين أمام الرعية في حين كانوا يمارسون اللهو والمجون في قصورهم مما دفعه أيضًا إلى التمرد على القيم الدينية والإجتماعية والفنية من خلال نقده للقيم الفنية والتقليل من شأنها، واعتبرها وسيلة يعتمد عليها لرفضه لمواقف السلطة واستغلال طاقات المبدعين والتمرد على القيم الفنية للقصيدة العربية على الذين لا يزالون يقفون على الأطلال في عصره.

كما وقف على شعراء الزهد وعلى رأسهم أبو العتاهية، فانتقاد أبو العتاهية لأصحاب السلطة والأثرياء واللاهين عن شؤون الدولة ورصد سلوكاتهم يعد ضربًا من التمرد، كما وقف أيضا على تمرد طائفة من الشعراء العباسين المعوزيين الذين سال الشعر على ألسنتهم شكوى مريرة وسخطًا حاد وهجاء لاذع على السلطة التي كانت لا تأبه لفقرهم وأوجاعهم وما يعانوه من عنت وشقاء في حياتهم وتمردهم على لغة الشعر الرصين.

فقد اختار الكاتب تقديم أنموذج يوضح عاقبة التمرد وأثر سلطة القلم على أصحاب السلطة من خلال هجاء المتنبي لملوك عصره وطمعه في الولاية عجلا بقتله.

– تطابق دلالة الألوان لغلاف الكتاب مع مضمون الكتاب ومحتواه فدلالة اللون الأسود الموجودة في أعلى الكتاب دلت على الظلم وعلى أرباب السلطة المستبدة التي كانت تقيد حرية الشاعر

العباسي وتقلل من شأنهم أما اللون الأخضر المتدرج إلى الأصفر فكان يمثل الشعراء المبدعين مثل بشار بن برد وأبو نواس وأبو العتاهية... من خلال دعوتهم إلى التجديد والتحرر من القيود التي تقيد إبداعاتهم.

أما القصور التي كانت دالة على الثراء الفاحش هو ما كان يملكه الخلفاء العباسين أمثال الرشيد والمهدي وعض الدولة وكافور الاخشيدي فهؤلاء الخلفاء كانو في قمة الثراء.

وكذلك صورة الرجل الذي يحمل بيده سيف كانت تدل على الحكم والسلطة التي كانت ترفع السوط في وجه المخالفين والمتمردين عليها بسوطهم وزجهم في السجون وهذا ما تعرض إليه كل من بشار بن برد وأبو نواس وأبو العتاهية وبعض الشعراء المعوزين والمتنبي.

– احتوى الكتاب على المقدمة قدم فيها أمثلة عن تصادم الشعراء العرب مع أشكال السلطة السياسية والاجتماعية والدينية والفنية من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والأمويين وما كانوا يلاقونه من عنت أرباب السلطات القبلية والدينية واللغوية والنقدية ووقف على أبرز الشعراء العباسين الذين تمردوا على السلطة في العصر العباسي هم بشار بن برد ، أبو نواس وأبو العتاهية والمتنبي وطائفة من الشعراء المعوزين.

– وكانت أبرز دوافعه هو تبيان مظاهر التمرد في شعر هذه الطائفة من الشعراء العباسين.

– لم يتطرق في مقدمته إلى طرح شكال.

– إعتمد على المنهج الوصفي والاستقرائي والتاريخي.

– لم يذكر أي صعوبات ودراسات سابقة لهذا الموضوع.

– طريقة توثيقية للمصادر والمراجع كانت مع نهاية كل من الفصل الأول والثالث فقط. أما الفصل الثاني والرابع والخامس لم يوثق الكاتب قائمة المصادر.

* الإحالة والتهميش كانت مطابقة وذلك من خلال توثيقه لمعلومات المصادر والمراجع التي إعتمد عليها في دراسته بذكر المؤلِف، المؤَلَف، الطبعة، دار النشر، البلد، السنة.

– مواءمة الكتاب للحقل الأدبي من خلال استحضاره في دراسته مجموعة من المصادر والشواهد التي كانت تصب في الموضوع منها كتاب الأغاني لأبو فرج الأصفهاني وكتاب العمدة لابن رشيق القيرواني والشعر والشعراء لابن قتيبة.

– كانت دراسته مستفيضة وهذا من خلال الشواهد والأخبار التي تضمنتها كتب السير والأخبار والدواوين في كتابه.

– الجديد الذي جاء به الكاتب هو دراسته ووقوفه عند جزئية التمرد وتبيان مظاهر التمرد على السلطة التي كانت بادية في أشعار أبرز الشعراء العباسين وأيضا إبراز تمرد طائفة من شعراء الكدية على لغة الشعر الرصين من خلال بذاءة وسوقية أشعارهم.

– لم تكن هناك أي دراسات أو انتقادات واعتراضات حول هذا الكتاب أو الكاتب وربما يعود ذلك إلى أن الكاتب غير معروف.

– كما أنه لم توجد أي أخطاء في هذا الكتاب سواء معرفية أو لغوية أو مطبعية.

خاتمة

خاتمة:

وفي الختام توصلت من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي تضمنها هذا الكتاب هي كالتالي:

- العوامل التي أسهمت في تمرد بشار بن برد كانت خلقية وأسرية وإجتماعية وثقافية وسياسية.

- انحياز بشار بن برد إلى مبدأين في حياته : إيمانه بحقه في الحياة وفق ما يحب وإيمانه بقدراته الفنية من خلال تجويده في شعره كما كان مغلط العقيدة غير آبه للعقيدة الإسلامية وانحرافاته في سلوكه وشعره الماجن في الغزل وهجاءه اللاذع.

- سعي بشار الى مطلبين مركزيين في حياته وفنه الشعري وهو رغبته في الخلود في الدنيا، ورغبته في الخلود في الدنيا، ورغبته في الخلود بفنه الشعري.

* تأثر بعض الشعراء بحياة البذخ واللهو والمجون التي كان يعيشها أرباب السلطة في العصر العباسي.

- تظاهر الخلفاء والوزراء بالتدين أمام الرعية وانخراط العديد منهم في تيار العبث والمجون وعدد من الشعراء منهم والبة ابن الحباب الأسدي، علي ابن جهم... كما رافق هذا التيار تيار دهري ومن أشهر هذا التيار : أبو نواس.

- تمرد أبي نواس على أنماط السلطة السياسية والدينية والاجتماعية والقيم الفنية للقصيدة العربية.

- تأرجح أبو نواس بين الكفر والإيمان والحكم عليه بالزندقة.

- سعي أبو نواس إلى الحرية وإلى التجديد والتمرد على الذوق التقليدي في أنماط القصيدة العربية.

- إيمان أبي نواس بمبدأ من مبادئ المرجئة.

* استعمال شعراء الزهد أسلوب الخطاب المباشر في رصد سلوك مجتمعهم وتذكير الناس بما ينفعهم وتحذيرهم من ملذات الدنيا الزائلة.

- انتقاد الشعراء الزهاد الخلفاء وأصحاب السلطة.

- يعتبر أبو العتاهية من الشعراء المجددين خلافًا للنمط الشعري القديم.

- مذهب أبي العتاهية في لغة الشعر هو مبدأ التسهيل في اللغة.

- ظهور طبقة من الشعراء المعوزين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى من عمر الدولة العباسية من بينهم : أبو دلامة، أبو الشمقمق أبو العجل ابن لكنك... وغيرهم من الشعراء المعوزين.

- تمرد الشعراء المعوزين على السلطة السياسية التي لم تأبه بأوضاعهم الإجتماعية.

- شعرهم يحمل شكوى مريرة ومدى معاناتهم وقساوة عيشهم.

- خروجهم عن الثوابت الدينية والقيم والأعراف الإجتماعية.

- سوقية وبذاءة أشعارهم وتمردهم على لغة الشعر الرصين.

- انحياز المتنبي إلى عروبته والسعي إلى المجد.

- سخط المتنبي الشديد على الأعاجم وذمه أهل وملوك عصره.

- طمع المتنبي في الولاية وهجائه المبطن للأمراء عجلا بقتله.

- سلطة القلم تؤثر في الملوك والأمراء لذلك سعوا إلى إغراقهم بالمال كفا لألسنتهم واستمالة لأقلامهم.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

1. القرآن الكريم برواية ورش.

الكتب:

1. ابن معتز، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط 3، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1976.

2. أحمد الفاضل، تاريخ وعصور الأدب العربي، ط 1، دار الفكر، بيروت، 2003.

3. أحمد أمين، ضحى الإسلام، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1935، ج 1.

4. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط 7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت، ج 3.

5. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ج 2.

6. حسين عطوان، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، د ط، دار الجيل، بيروت، د. ن.

7. حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ط 2، المطبعة البوليسية، د. ب، 1953.

8. ديوان ابن المعتز، شرحه مجيد طراد، ط 1، دار الكتاب العربي ببيروت، 1995، ج 2.

9. شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط 11، دار المعارف، القاهرة، 1960.

10. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1973.

11. شوقي ضيف، تاريخ الدب العربي العصر العباسي الأول، ط 16، دار المعارف، القاهرة، 1966.

12. طه حسين، مع المتنبي، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

13. عارف حجاوي، تجديد الشعر زبدة الشعر من بشار إلى البحتري، ط 1، دار المشرق القاهرة، 2017.

14. عروة عمر، الشعر العباسي وأبرز اتجاهاته وأعلامه، د. ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

15. فالح نصيب الحجية الكيلاني، موسوعة شعراء العربية، شعراء العصر العباسي، المجلد الرابع، د ط، دار النشر، د. ب، د. ت، ج 1.

16. محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة، د. ط، دار المعارف، القاهرة، 1963.

17. مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.

18. يوسف عطا الطريفي، شعراء العرب العصر العباسي، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2008.

المجلات:

1. إنصاف محمد سالم المومنى، حسين يوسف قزف، عمر عبد السليمان المومني، صور من التمرد في شعر العصر العباسي الأول، مجلية كلية الأداب وعلوم اللغة، ملحق 2، مجلد 72، العدد 1، 2012.

المذكرات:

– الجاحظ أبو عثمان عمر بن محبوب، البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارون، د ط، دار الجيل، بيروت، د. ت، ج 1، ص 16، 23.

– ديوان أبي نواس، تحقيق عبد المجيد الغزالي، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت.

– ديوان بشار بن برد، بشار بن برد، شرح حسين حموي، د. ط، دار الجيل، بيروت، 1996.

1. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط 1، د ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، الجزء الخامس عشر.

2. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1929، الجزء الثالث.

3. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950، ج 13.

4. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1938، الجزء العاشر.

5. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ط 2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950، الجزء الرابع.

6. الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مقيد محمد قميحة، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

7. فتيحة أزرق نكين جابر، مظاهر التمرد في الشعر العباسي بحث تكميلي مقدم لنيل درجة ماجستير الأداب في اللغة العربية، جامعة الجزيرة، 2017.

8. فيصل حسين طحمير العلي، التمرد في الشعر العباسي الأول، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا، استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الأدب قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة مؤتة، العراق، 2004.

فهرس الموضوعات

الفهرس

. شكر وتقدير

. إهداء

مقدمة.....أ-ج

البطاقة الفنية.....د

سيرة الذاتية للكاتب.....هـ

مدخل.....5-9

تقديم وعرض

الفصل الأول: بشار بن برد والسلطة.....12-29

تمرد بشار بن برد على السلطة.....13

عوامل تمرده.....19

الفصل الثاني: الإتجاه النواسي والتمرد في الشعر العباسي.....31-53

ظاهرة المجون في العصر العباسي.....31

أبو نواس والتمرد على السلطة.....37

أبو نواس وعقيدة الإرجاء.....49

الفصل الثالث: جدلية العلاقة بين الإبداع والسلطة في شعر الزهد.....55-76

تمرد أبي العتاهية على السلطة.....63

مذهب أبي العتاهية في لغة الشعر.....71

الفصل الرابع : الفقر والتمرد في الشعر العباسي.....78-96

تمرد الشعراء المعوزيين على السلطة.....78

الفصل الخامس: المتنبي وضريبة التمرد.....99-106

علاقة المتنبي مع عضد الدولة.....99

شعر المتنبي في عضد الدولة.....107
نقد وتقويم.....**122–120**
خاتمة. 125-124
قائمة المصادر والمراجع.....**129–127**
الفهرس.....**132–131**